" الشيخ العلاوى باعث النهضة الروحية فى الغرب"

إعداد
أمل حسنى حلمى مهران

تحت إشراف

أ.د/كوكب محمد مصطفى عامر
أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف
كلية البنات ـ جامعة عين شمس

د/سهام إبراهيم عبد المجيد
المدرس بقسم الفلسفة
كلية البنات ـ جامعة عين شمس

ملخص:

الشيخ العلاوى هو أحد الصوفية المعاصرين فى القرن العشرين،ولد فى مستغانم(١٨٦٩م-١٩٣٤م) فىالجزائر،كتب أكثر من عشرين مؤلفا فى مختلف المجالات الإسلامية، وأغلب أعماله فى التصوف ،وأسس فى (١٩١٤) الطريقة العلاوية حيث إنها إنتشرت فى الجزائر، وفى كل أنحاء شمال إفريقيا وأوربا ،وأسس أول جريدة وهى لسان الدين فى عام (١٩٢٣) ،ثم فى عام(١٩٢٦) أسس جريدة البلاغ الجزائرى، كانت معظم مقالاتها تصف وضع المسلمين ،وبالأخص الوضع الجزائرى .نجح العلاوى فى تأسيس زوايا عديدة داخل وخارج الجزائر،واكتسب جمع كثير ليس فقط من الجزائريين، بل امتد الى اماكن كثيرة ،مثل أوربا وأمريكا وآسيا وأفريقيا ،كل هذا أدى الى أن تأثر به الكثير من الغرب، وأسلم على يديه الكثير من المسيحيين .

Abstract:

The Shaykh Ahmed b. Mustafa al-ʻAlawī is considered to be one of the contemporary Sufi of the Twentieth century was born in (1869 -1934) in Mostaganem, Algeria, shaykh al-ʻAlawī wrote more then Twenty books encompassing different fields of Islamic studies and the most significant of his works are the ones on Sufism. and in 1914 established his own order, called the Alawiyya The Alawiyya spread throughout Algeria, as well as in other parts of North Africa in Europe and established the very first newspaper in Algeria titled Lisān al- Dīn in 1923 and. In 1926 published another newspaper titled al- Balāgh al- Jazā'irīin which a series of articles were written to raise the awareness of the Algerians.

Al-ʻAlawī Sufi order was successful in establishing numerous lodges in and out of Algeria and gained a huge crowd not only among Algerians but its popularity spread to places such as Europe, America, Asia and AfricaAll this led to that affected much of the West and gave him a lot of Christians

مقدمة:

عندما اشتدت أزمة الجزائر، وازداد كابوس الاستعمار الفرنسي، وكثرت فتنهم وأساليبهمالاستعمارية،وتطبيقهم السياسة الجائرة، التي كانت تدعو إلى محاربة اللغة العربية، باعتبارها أبرزمقومات الشخصية العربية، التي كان بقاؤها يعني بقاء الشخصية الوطنية الجزائرية؛حيث كان الاستعمار يعمل على إبدالها بالفرنسية، ومحاولة العمل على إغلاق المدارس الدينية ومحاصرتها، وإبدالها بفتح مدارس فرنسية، وتطبيق سياسة الإدماج والتجنيس والتنصير والتبشير.

وبناء على تلك السياسة الاستعمارية كان لابد من العمل على إحياء الدين الإسلامي،وتجديد الفكر الديني.قام العلاوي بإعلان نفسه مجدد اً لذلك الفكرعلى رأس القرن الرابع عشر الهجري، قائلا:

(أنا الساقى المجدد حامى الحمى والوفود
والحق حق لا يرد بالرغم عن الجحود)[1].

وقد كان لهذا أثره على النخب الفكرية والثقافية والسياسية،لدرجة أن كثيرًا منهم عرفوا الإسلام ودخلوا فيه. ولكن ما الدور الذي لعبه الشيخ العلاوي في ذلك؟وما الوسائل التي استخدمها في تصحيح صورة الفكر الديني الاسلامي وإحيائه؟ وما مدى تأثيره على الغرب؟

يجدر بنا قبل الإجابة عن هذه الأسئلة أن نُعَرِّفَ سريعًا بهذا الرجل المسلم الصوفي،الذي عاش حياته مجاهدًا في سبيل إحياء الدين ونهضة الأمة،والذي تخرج على يديه آلاف من المشايخ والمريدين،كما أسلم على يديه عشرات المسيحيين وأن نتطرق لدوره الديني ومدى تأثيره الروحي على الغرب ؟

اسمه ولقبه ومولده:-

هو الشيخ أبو العباس أحمد بن مصطفى بن عليوة المعروف بالعلاوي المستغانمي[1]مولدا ونشأة،ولد بحاضرة مستغانم[2] بالجزائر عام١٨٦٩م،وتوفي بها عام ١٩٣٤م.

---

[1]) العلاوى، الديوان، المطبعة العلاوية بمستغانم، ط٤، ١٩٩٣، ص٤٠

[1]) مستغانم تسمى مشتى غانم ومسك الغنائم، وتسمى مرسى غانم، وهى مدينة متوسطة لا صغيرة ولا كبيرة، بها أسواق عامرة، يقصدها التجار من الأماكن البعيدة لما لها من الخصب والرخص،وتيسير المعيشة،وفيها زوايا متعددة، وأعظمها الزاوية السنوسية والعلاوية والقادرية. وتسميتها مسك الغنائم، وهي تسمية محولة عن تسميتها مشتى غانم؛حيث لا فرق بين الشين المعجمة والمهملة، فبحذف النقط صارت مستغانم، وهي موجودة في حدود القرن الخامس من الهجرة، فهي مدينة مرتفعة البناء مع التحصين، طيبة الهواء باهية المنظر. تنقسم على ثلاثة أقسام؛ مدينتي العرب بتيجديت، والعرصة، ومدينة الإفرنج،ويعد مسلموا مستغانم على جانب عظيم من الفضل والصلاح، وتشتمل مستغانم على مسلمين وأوربيين.{عبد الله بن محمد الشارف ابن سيدي على حشلاف، سلسلة الأصول الخمسة في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، نهج سوق البلاط، عدد٥٧، بتونس، ١٩٢٩، ص ص ١٠٠– ١٠٢/ صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دارالبراق،٢٠٠٢،ص٢٧٣ / أحمد توفيق المدني ،كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، ١٩٨٤،صص٢٣٧–٢٣٨ }

نشأ الشيخ العلاوي نشأة إسلامية منذ ميلاده، في بيئة صالحة تتميز بطيب الأخلاق والطهارة والعفاف في بيت علم وصلاح.

وهذا ما أكده أشهر تلاميذه"عدة بن تونس"[٣] قائلا:(تعد عائلة الشيخ العلاوي من أعرق العائلات المستغانمية في المجد والثروة،غير أن الثروة أخذت من بينهم في الذبول)[٤]؛ حيث اشتهر كثير من أفراد عائلة الشيخ العلاوي بممارسة مهنة القضاء،فقد تولى هذا المنصب في هذه الأسرة ثلاثون قاضيا طيلة الحكم العثماني[١].

ولم يتلق الشيخ العلاوي قسطًا عاليًا من التعليم،بل لم يذهب إلى الكتاب قط،ولكنه تلقى أبجديات القراءة والكتابة،وعرف علوم القرآن والحديث على يد والده العارف بالله مصطفى بن عليوة[٢] قائلا"أما صناعة الكتابة فلم نتعاطاها، ولا دخلت الكُتَّاب ولا يومًا واحدًا،إلا ما استفدته من أبي -رحمة الله عليه- عندما كان يلقي عليَّ بعض الدروس القرآنية بدارنا،وإلى الآن لم نحصل على القدر الكافي منها،وانتهى بي الحفظ فى كتاب الله إلى سورة "الرحمن"، فبقى اللوح على تلك السورة بما اشتغلت به فى ذلك الحين من تعاطي بعض الأسباب التي دعتني إليها الضرورة"[٣].

وتعلم الشيخ العلاوي على يد الشيخ محمد بن الحبيب البوزيدي[٤] معالم الطريق الصوفي؛ حيث دامت صحبة العلاوي لشيخه خمسة عشر عاما [٥]

---

[٢])العلاوي، المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية، المطبعة العلاوية بمستغانم، ط١، ج٢،١٩٩٤، ص٦/أحمد بن مصطفى العلاوي، المنح القدوسية، في شرح المرشد المعين بطريقة الصوفية، المطبعة العلاوية بمستغانم، ط٢، د.ت، ص٨/ أحمد حماني،صراع بين السنة والبدعة، دار البعث، قسنطينة، ج١،١٩٨٤،ص١٦١/الزركلي،الأعلام،دار العلم للملايين،الطبعة الخامسة، الجزء الأول، ١٩٨٠،ص٢٥٨ /العلاوي، أضاميم المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري، من تراث الطريقة العلوية الصوفية / قدم له وحققه عبد السلام بن أحمد الكنوني، راجعه وأشرف عليه عدلان خالد بن تونس، المغرب طنجة ، ج١،١٩٨٦،ص٢٣/ مارتن لينجز، أحمد بن مصطفى العلوي الصوفي المستغانمي الجزائري، نقله إلى العربية د/محمد إسماعيل الموافي، دار الكتاب الجديد بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٣، ص٤٧/صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، ص٢٧٣

[٣]) عدة بن تونس (١٨٩٨م–١٩٥٥م) هو شخصية عاشت مغمورة في الحضرة الربانية،كان ينادي بالدعوة إلى النهضة وإلى الأخوة الواجب تحقيقها في الإنسان حتى صار وليًا صالحًا،أسس منهاجه وسط الأنس الرباني. ثم تولى من بعد أستاذه العلاوي بوصية منه. ومن أعماله ومؤلفاته:- الروضة السنية في المآثر العلوية، والدرة البهية في أوراد وسند الطريقة العلاوية،وفك العقال في تصرف الأفعال،وتنبيه القُرَّاء إلى كفاح حملة المرشد الغراء (جزئين) ، ومجالس التذكير في تهذيب الروح وتربية الضمير، ووقاية الذاكرين من غواية الغافلين.{أميمة جمال، رجل الإصلاح ومربي الأرواح، منشورات جمعية الشيخ العلاوى للتربية والثقافة، د. ط ،٢٠٠٣، ص١ وما بعدها.}

[٤]) عدة بن تونس،الروضة السنية في المآثر العلوية، المطبعة العلاوية بمستغانم، ط٢،١٩٩٠،ص ص١٦–١٧/من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائرية، ج١،ص ص٢–٣

[١])صلاح مؤيد العقبى، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها،ص٢٧٣

[٢]) مهدي محمد عبد الله إبراهيم،الإمام أحمد بن مصطفى العلاوي،دار الكتب المصرية، ط١،٢٠١٠،ص٢٨

[٣]) عدة بن تونس، الروضة السنية في المآثر العلوية، ص٢٠

[٤])هو محمد بن الحبيب البوزيدي،ولد سنة١٨٢٥م، أصله من مستغانم وبها توفى سنة (١٣٢٨–١٩٠٩م) وهو شيخ الطريقة الدرقاوية، وأستاذ الشيخ العلاوي، وعرف بحمو اختصارًا لاسم محمد متداولا في المنطقة، كما اعتمد لتمييزه عن محمد البوزيدي الغماري(١٧٤٧) منه، ثم انتقل بعد ذلك إلى قرية "قيراط" بضواحي مستغانم،وتتلمذ هنالك على يد العارف بالله الشيخ سيدي الشارف بن تكّوك، فقرأ القرآن وعلومه والفقه والحديث، ثم أخذ الطريقة عن شيخه سيدى محمد بن قدور الوكيلي،مولده

مكانة الشيخ العلاوي:-

أصبح للشيخ العلاوي مكانة كبيرة وشهرة جليلة، ظهرت في حياته وبعد وفاته، وتجلت عند كثير من الكتاب والمؤرخين والصوفية والمترجمين له، سواء من الشرق أو الغرب على النحو التالي:

قال عنه مفتى مستغانم الشيخ عبد القادر بن قارة مصطفى (١٨٦٢ م - ١٩٥٦ م)[١] "إن هذا الرجل - أي العلاوي- هو فينا ذو نسب، ومن أسلافه العلماء والصلحاء والفضلاء، نشأ فى بلده بين أظهر قومه، وتربى في حجر والده وعشيرته خاملا (هادئا) متدينا، مشتغلا بما يعينه، ولما بلغ مبلغ الرجولة (النضج) دخل طريق الصوفية -رضى الله عنهم- فتردد بين من شاء الله من أهلها، وهو مالكي المذهب، أشعري العقيدة، شاذلي الطريقة، يحضر الجماعة والجمعة، ويدعو إلى الخير"[١].

ويقول عنه ابن الحاج علال (١٨٦٠م)[٢] مفتى تلمسان[٣](بأنه سلك مسلك أهل السنة والجماعة). كما وصفه بلقاسم بن كابو(١٢٧٩-١٩٥٣م)[٤] المدرس بوهران[٥] بأنه (من أشد أفراد أهل زمانه غيرة على الدين ،واتباعا لسنة سيد المرسلين)[٦]

(١٢١٤-١٨٠١) وتوفي سنة (١٢٨٤-١٨٦٩)، عاش الشيخ البوزيدي حالة ربانية وسيرة نبوية، اهتدى على يده الجم الغفير، وانتفع به الخلق الكثير،حسبما يشهد له بذلك أهل بلدته إلى أن ختمت أنفاسه على هاته الحالة الراضية في يوم الاثنين العاشر من شوال سنة١٣٢٧، ومزاره معروف ببلدة مستغانم بعقيدة الزوارلأجل التبرك به.{مهدي محمد عبدالله إبراهيم،الإمام أحمد بن مصطفى العلاوي،ص٢٤ في الهامش/ محمد بن عبد الباري الحسني التونس، الشهائد والفتاوى فيم اصح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوي، المطبعة التونسية، نهج سوق البلاط،عدد٥٧،تونس، ١٩٢٤،ص ص٤-٥

[٥]) مهدى محمد عبد الله إبراهيم،الإمام أحمد بن مصطفى العلاوي، ص٢٨

[١]) عبد القادر بن قارة مصطفى (١٨٦٢م-١٩٥٦م)، وهو بن عودة بن الحاج محمد بن قارة مصطفى الحسني المفتي، والعالم الجليل، والمعلم القدير، المصلح الاجتماعي ذو السمعة الطيبة التي تجاوزت مدينة مستغانم، وتعلم في زاوية سيدي الموسوم بقصر البخاري،ثم عاد إلى مستغانم. {محمد بن عبد الباري الحسني التونس، الشهائد والفتاوى، ص١٢}

[١]) المرجع السابق، ص٧

[٢])علال بن محمد بن الحاج علال"(١٨٦٠م) هو مدرس بمستغانم، تخرج من مدرسة تلمسان ١٨٨٢ وعين إماما لجامع سيدى إبراهيم العريب، واستمر ثماني سنوات، ثم عين مدرسا في ١٨ يناير ١٨٩٠ .{ محمد بن عبد الباري الحسنى التونس، الشهائد والفتاوى، ص ص١٩-٢٠}

[٣]) تلمسان بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة، وبعضهم يقول تنمسان بالنون عوض اللام وهي بالمغرب، وهما مدينتان متجاورتان مسورتان بينهما رمية حجر إحداهما قديمة، والأخرى حديثة، والحديثة أسماها ملوك المغرب تافرزت، فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان، وأصناف من الناس، والقديمة اسمها افادير، يسكنها الرعية فيها كالفسطاط والقاهرة من أرض مصر.{ ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر بيروت، ج٢،١٩٧٧، ص٤٤}

[٤]) هو بلقاسم بن كابو المدرس بوهران (١٢٧٩هـ-١٩٥٣م)العلامة الكبير الفقيه المحترم الشريف سيدي الحاج أبو القاسم ابن الطيب بن عبد القادر،يتصل نسبه بالسيد على بن سعد دفين غريس، حفظ القرآن الكريم برواية الإمام نافع على السيد المولود

أما عن مكانة العلاوي عند الغرب والمترجمين له، فيشهد له أوغسطين بارك[١] بأنه "كان نموذجًا للمرابط العصري المساير للتطور،ميالا للمصالحة، بل إن سعيه للمصالحة شَكَّل أحد ركائز مشروعه الإصلاحي الرامي إلى حفظ دين الأمة"[٢].

يرجع اهتمام ايفا ميروفيتش(١٩٠٩م)[٣] بالشيخ العلاوى فى قائمة مجددى الصوفية فى القرن التاسع عشر الميلادى ،فهى تراه أحد الذين أنتجوا خطابا مناهضا للخطاب الوهابى[٤] المتطرف وأنه من الأعلام الذين بعثوا فى الخطاب الصوفى روحا جديدة[٥].

مؤلفاته:-

ألف الشيخ العلاوي العديد من المصنفات المتنوعة، التي يمكننا حصرها في قسمين أساسيين، هما:- المؤلفات والرسائل والمقالات الصحفية.

أما عن القسم الأول: فله مؤلفات عديدة في مجال التصوف،وأخرى فى مجال التوحيد والفلسفة والفقه والتفسير وعلوم الفلك، وكذلك في الشعر الصوفي، ويدخل ضمن هذه الدائرة الرسائل والردود[٦]

الملقب الراد بنى عام،من مؤلفاته السعادة الأبدية من فيض فيوض الحقيقة المحمدية.{ عبد الرحمن طالب، الشيخ العلامة الحاج بالقاسم بن كابو التجاني، الجزائر، د.ط ، ٢٠٠٥، ص ٢}

٥)وهران بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره نون، مدينة على البر الأعظم من المغرب، بينها وبين تلمسان سرى ليلة، وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر وأكثر أهلها تجار. ويرى المدني أنها من أعظم المدن الجزائرية عمرانا واتساعاوحركة بعد العاصمة، تقع داخل خليج مفتوح أقل جمالا من خليج الجزائر، وراءها جبل ايدور يشرف عليها، تعلوه قلعة سانتا كروز الإسبانية العتيقة.{ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٨٥/ أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص٢٤٥}

٦) محمد بن عبد الباري التونس، شهائد وفتاوي، ص ص١٣٦-١٣٧

١) أوغسطين بارك كان إداريًا وأمينًا للجمعية التاريخية الجزائرية، وهو مثقف واسع الاطلاع، وملاحظ اجتماعي دقيق الملاحظة، وهو من أحد محللي الجزائر في فترة الاحتلال، وتعد كتاباته دليلآ على اهتمامه الزائد بالإسلام، ومن الشخصيات التي تناولها شخصية الشيخ العلاوي، فكتب مقالا في المجلة الأفريقية تحت عنوان الشيخ العلاوي الصوفي الحداثي. Traductions diverses,Graines de Lumière heritages de Cheikh al-Alâwî al bouraq paris2010,p356}

٢) Augustin Berque unmystic modernism le sheikh Benalioua Revue africaine n79-vol 2 1939pp629-693

٣) إيفا ميروفيتش باحثة من أصل فرنسى ،من مواليد ١٩٠٩بضواحى باريس،إهتمت اهتماما شديدا بتراث مولانا جلال الدين الرومى ،الذى أوصلها اليه ووصلها به عنايتها بروحانية الخطاب الدينى الإسلامى، و كان جلال الدين الرومى موضوع أطروحتها بجامعة السربون عام ١٩٦٨،أوصت أن تدفن بالقرب من ضريح جلال الدين بقونيا. Traductions diverses,Graines de Lumière heritages de Cheikh al-Alâwî p370}

٤) سميت الوهابية نسبة الى محمد بن عبد الوهاب ،وهى فرقة دعت الى فكر الحنابلة المجسمة النواصب ،ونجدهم اليوم متحدين فى الفكر بل هما فكر واحد.فالوهابية هى تلك الجماعة التى تقودها إدارة هيئة البحوث والدعوة والإرشاد فى جزيرة العرب ،والتى تدعو الى مذهب أحمد بن حنبل وابن تيمية ، وهيئة كبار علمائها المعاصرين فى ذلك الإقليم ،فالوهابية هى نفس فكر السلفية بل هم أصل السلفية ،ولكنهم لم يقولوا أنهم الوهابيون ، بل يدعون أنهم أهل السلف الصالح .إذا فالسلفية والوهابية هما أسم واحد ،فهما وجهان لعملة واحدة ،لأنهم يعتقدون بنفس الأفكار والمعتقدات منها قولهم بعقيدة التشبيه والتجسيم وغيرها.{حسن بن على السقاف،السلفية الوهابية افكارها الأساسية وجذورها التاريخية،دار الامام الرواس بيروت،د.ط،د.ت، ص ص٢٠-٢١}

٥) Traductions diverses,Graines de Lumière heritages de Cheikh al-Alâwî p٣٧٠

أما المقالات الصحفية، فقد نشرت بكاملها على صفحات جريدتي لسان الدين ١٩٢٣م والبلاغ الجزائرى ١٩٢٦م، وهما جريدتان أسسهما العلاوي لتكونا منبرًا يعرب فيهما عن أفكاره، وإصلاحه الديني والاجتماعي، يشاركه في ذلك خيرة علماء القطر الجزائري، والوطن العربي. وقد تناولت تلك المقالات في مجملها حالة الأمة الجزائرية خصوصًا، والإسلامية عمومًا، محللة داء الأمة، واصفة الدواء الناجع لها، وعالجت أهم القضايا والمشاكل العقائدية، والاجتماعية، وحتى السياسية منها، والتي كانت تشغل الرأي العام آنذاك.

..وبعد فهذه لمحة سريعة عن الشيخ العلاوي ومؤلفاته، والآن سنوضح دوره الروحي، وهدفه من إعلان نفسه مجددا لدين الأمة، ووسائله في هذا التجديد والإحياء.

يرجع هدف العلاوي من إعلان نفسه مجددا لدين الأمة لتبليغ رسالة الحق، والدعوة للتمسك بتعاليم الدين الإسلامي الصحيح، ومحاربة البدع والخرافات، وكل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله، وإصلاح المجتمع الجزائري من خلال نشر الفضائل والآداب. وإلى جانب كل هذه الفضائل، فإن الهدف الأسمى الذي أراده العلاوي هو تصحيح صورة الفكر الإسلامي أمام الغرب. واستند العلاوي في ذلك إلى قوله -صلى الله عليه وسلم -"يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة دينها"[١].

فالتجديدهو (إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما). أما المجدد فهو من يجدد ما اندرس من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم الدين بعد طمسها[٢]ويقول المودودي[٣] (إنالمجدد هو من أحيا معالم السنن، وما خفي من العلوم الظاهرة والباطنة، وجدد حبله بعد انتفاضه). ومعنى يجدد لها دينها أي يبين السنة من البدعة، وجاء ذلك في قول المناوي[٤] (يجدد لها دينها أي يبين السنة من البدعة، ويكثر العلم، وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم)[٥].

فالتجديد في حقيقته هو تنقية الإسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية، ثم العمل على إحيائه خالصا محضا على قدر الإمكان[٦].

إذًا التجديدفي حقيقته تجديد وإصلاح لعلاقة المسلمين بالدين، والتفاعل مع أصوله، والاهتداء بهديه، لتحقيق العمارة الحضارية، وتجديد حال المسلمين، ولا يعني إطلاقا تبديلًا في ثوابت الدين أو الشرع ذاته. والمجدد هو الفرد أو الجماعة التي تحمل لواء التجديد في هذا العصر أو ذاك، ويجوز أن تكون متفرقة في البلاد، ويعرفهم ابن كثير بأنهم حملة العلم في كل عصر.

فالإشارة إلى زمن التجديد دلالة على حقيقة استمرارية عملية التجديد، وتقارب زمانه، بحيث يصبح عملية تواصل وتوريث[١].

---

٦)ومنها: مبادئ التأييد في بعض مايحتاج إليها المريد– المنهاج المفيد– البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور– كتاب الأنموذجا لفريد المشير إلى خالص التوحيد– المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية– المنح القدوسية بشرح المرشد المعين.

[١]) حديث نبوي، رواه أبو داود في سننه (٤٢٩١) في كتاب ملاحم (٣٢) في باب ما يذكر في قرن المئة (١).

[٢]) محمد عبد الرءوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ج١، ١٩٩٤م، ص١٤

[٣]) هو أبو يعلى المودودي (١٣٢١–١٣٩٩هـ/١٩٠٣–١٩٧٩م) ولد في مدينة أورنج أباد في ولاية حيدر، تعلم العربية وحفظ القرآن وله الكثير من المصنفات، منها: بر الأمان، والدين القيم، وموجز تاريخ تجديد الدين وغيرها. /عبد الله العقيل، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية، تقديم مصطفى مشهور وآخرين، دار البشير، ج١، ط٨،٢٠٠٨ ص٤٣ وما بعدها

[٤]) هو محمد عبد الرءوف المناوي القاهرة الشافعي (ت١٠٣١هـ) وفاة، وله مصنفات كثيرة، منها: فيض القدير شرح الجامع الصغير، وشرح الشمائل للترمذي {الزركلي، الإعلام، ج٦، ص٢٠٤}

[٥]) محمد عبد الرءوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج٢، ص ٢٥٧

[٦]) المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٤، ١٩٨١، ص٤٤

[١]) الشيخ أمين الخولي، التجديد في الدين، مجلة الرسالة، العدد ١٣

يتبين مما سبق أن التجديد هو بناء فهم حقيقي للدين بما يناسب روح العصر، ولتقديم الإسلام بصورته الصحيحة التي نزل بها، وحمايته من التحريف والفساد.

لذلك يرى العلاوي أنه لكي يتحقق التجديد أو الإحياء لابد من النهوض بالشعوب العربية عامة، والشعب الجزائري خاصة، والإقلاع الحضاري لدى العرب والمسلمين، ولن تتحقق هذه النهضة إلا بما يلي:

١- إحياء الفكر الديني الإسلامي.
٢- مقاومة التعاليم الغربية المناهضة لصحيح الدين في بلاده.
٣- تفعيل دور المثقفين (علماء- نواب- خطباء- شيوخ).
٤- الصحافة.
٥- الجمع السنوي.
٦- الجمعية العلمية.

وسوف نوضح كل نقطة من هذه النقاط على النحو التالي:

أولا: <u>إحياء الفكر الديني الإسلامي:-</u>

يذهب العلاوي إلى أن السبب في تخلف الأمة هو انحرافها عن دينها، وليس مثلما قال الغرب بأن الدين هو أفيون الشعوب، وأنه السبب في تخلف الأمة ورجعيتها، لذلك قام العلاوي بالتصدي للغرب، والوقوف لهم بالمرصاد من أجل إعلاء الدين الإسلامي وكلمة الحق، وأن يبقى المسلم مسلما حتى وإن قيل إننا من الارتجاعيين (الرجعيين) والجامدين. قائلا:(ما توحي به التعاليم الأوروبية للمسلمين من كون الدين حجر عثرة في سبيل التقدم، وأنه غل مثقل في رقبة من يريد الوثوب، وأن تعاليمه لا توافق روح العصر وأن...، كل هذا وأكثر منه ينفثونه في روع المسلم خالي الذهن بصفة النصح، دون أن يشعر وهو على شك من أمره... أما نِيَّتنا نحن فهي المحافظة على صيغة المسلم أن يبقى مسلما، سواء عبروا عنه بالارتجاعيين أو بالجامدين، أو بالخرافيين، أو بالمهوسين، أو بغير ذلك من الألقاب الازدرائية (الحقيرة)...)[1].

لذلك وجه العلاوي رسالة لكل مسلم يريد المحافظة على دينه قائلا(دع أيها المسلم هوس المهوسين وإلحاد الملحدين،القائلين بعرضة الدين في طريق الدنيا (أي تعارض الدين مع الدنيا)تلك أقوالهم، فاحذرهم أن يفتنوك في دينك، فتلك فتنة المحيا،ولفتنة الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون،ولا تظن أن من يقول بمعارضة الدين لمصالح الدنيا على بينة من أمره،ولكن الأهواء تعمل في بني الإنسان ما تعمله الصهباء(أي الخمرة) في الأذهان)[2].ويستند في ذلك إلى قوله تعالى"لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ"[٣].ويقول عز من قائل"اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حطاما وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الغرور"[٤].

فالعلاوي هنا لا يريد من المسلم ترك الدنيا ولا الزهد فيها،وإنما على المسلم ألَّا يطلب الدنيا دون الدين والآخرة.فالدين له دور كبير في حياة المجتمعات؛فإن تقدم المجتمع إلى الأمام لا يتم إلا بباعث روحي؛ فالدين يمثل جوهر التقدم الحضاري والأساس الأخلاقي بالنهوض بالأمة.

---

١)العلاوي،من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائرية،مقالة بعنوان"أي شيء نريده من المسلم يا ترى؟"العدد ١٣٩،ج١، ١٩٢٩،ص ٨٨

2)العلاوى،من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائرية، مقالة بعنوان"لا يترك الناس من أمر دينهم شيئا لاستصلاح دنياهم إلا فتح الله عليهم ما هو أضر منه" العدد ٢٨،ج١، ١٩٢٧، ص٩٠

٣)(سورة آل عمران: الآيات ١٩٦– ١٩٧)

٤)(سورة الحديد: الآية ٢٠)

جعل العلاوي سلاح هذا النهوض هوالقرآن الكريم،لأنه كتاب الله، فالقرآن الكريم عند العلاوي هو ذلك النور الذي ينطلق منه الشعب العربي الإسلامي الجزائري،لأنه هو الذي أهدى الله به شعبه.قائلا(إن القران كلام الله، يكلم به عباده، وهم لا يشعرون، وكتاب بعث إليهم بالخصوص وهم لا يدرون، لاهية قلوبهم كأنهم يظنون أنه وجد اتفاقا،فصاروا يأخذون منه أحكامهم)[٥].

مصدقا لقوله تعالى"يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"[٦].

وهو ما يعنيه بخروج الأمة الإسلامية من ظلمات الغفلة إلى الاهتداء إلى أنه كلام الله، واتباع نوره الذي هو سبيل النجاة، ليكون القرآن هو معراج المؤمنين للوصول إلى الله عز وجل، وبهذا المعنى يكون القرآن هو المعراج التعبدي للعبد السائر إلى الله تعالى، وذلك بالدخول إلى حقيقته من باب خدمة القرآن والاشتغال به. وفي ذلك يقول العلاوى:

(سألناك يا ربِّ بالقُرآنِ ومَا فِيه وبالسَّبْعِ المَثَانِي
وبالّذي أتى به وبثّهُ وبجّلَ أَيَاتِهِ وَحَبَّهُ
وأَمَرَ بِحُبِّنَا القُرآنَا فكان أَطْيَبَ لَنا مِمّا كَانا
فالقرآن هو عين الحقيقة والشريعة والعروة الوثيقة)[١].

ففي تعريفه بأن القرآن معراج، قال رحمه الله: (إن القرآن ما نزل من السماء إلا ليعرج بنا إليها، وقد قال(فجميع آيات القرآن معارج ومدارج ولهذا ورد في الخبر "يصعد قارئ القرآن بكل آية درجة")[٢].

فالشيخ العلاوي لم ينظر إلى القرآن في جانبه التشريعي على أنه مصدر من مصادر التشريع وكفى،كما هو منصوص عليه في المصادر الأصولية والفقهية،بل نظر إليه على أنه عين الحقيقة الإلهية النابعة من المتكلم به وهو الله عز وجل،وأنه العروة الوثقى للعالم الإنساني،ونور له في عالم الظلمات، تهديه إلى منابع الخير والجمال، ممثلا في قصيدة (اللطفية)قائلا: (وانهض بنا لشهود الجمال وماله من أسرار الكمال)[٣] لتنتهي به إلى غاية الغايات ألا وهي الوصول إلى الله عز وجل[٤].

هدف العلاوي إذن أن يقوم الإنسان بوظيفة العبودية لله تعالى، ويؤدي خدمته التي أنيطت به في هذا الكون، ألا وهي التعلق بأنوار الأسماء الحسنى، والانتساب إلى دائرة الربوبية من خلال دائرة العبودية، ومن هنا كانت رسالة القرآن عند الشيخ هي تعليم الناس شئون الدائرتين، لذلك اختار الشيخ العلاوي حمل راية (طريق القرآن) والعمل تحت رايتها. لخروج الأمة من أزمتها من أجل تبصير المسلمين بحقائق القرآن في النفس والمجتمع. وبعث روح (القرآن) فيهم، وجاء ذلك عندما أمره شيخه ومعلمه البوزيدي، لما وجد الضرورة تدفعه لتبليغ رسالة القرآن الحقيقية قائلا: (قال لي الشيخ محمد البوزيدي -رحمه الله-: ينبغي لك الآن أن تحدِّث الناس وترشدهم إلى هذه الطريق، حيث إنك على يقين من أمرك، فقلت له وهل ترى أنهم يسمعون لي؟ فقال: إنك تكون مثل الأسد، ما وضعت يدك على شيء إلا أخذته، وكلما دعوت أحد إلا انقاد لكلامك وعمل بإشارتك)[٥].

---

[٥]) العلاوي،البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور،المطبعة العلاوية بمستغانم، ط١، ج١، ١٩٩٥، ص٢٣

[٦])(سورة المائدة: الآية ١٦)

[١]) العلاوي،الديوان،ص ص٩٣-٩٤ وما يليها

[٢]) العلاوي،البحرالمسجور، ج٢، ص٣٢

[٣])العلاوي،الديوان، ص٩٥

[٤])ابن النخيل عبد الكريم عبد الرحيم،مفاهيم قرآنية وقواعد الاستنباط في تفسير البحر المسجور للشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٨،ص ٥٩

[٥])عدة بن تونس،الروضة السنية،ص٢٨

تكمن أهمية القرآن إذن عند الشيخ العلاوي حينما ربط بين حقائق القرآن والسلوك الصوفي مستندا إلى قوله تعالى"إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرا"[١]. فاختار طريق العروج بالمسلمين إلى المقامات العلى،من الوعي بالوجود الديني والتميز الحضاري، مجاهدا بالخطاب الشرعي والحال الرباني، فقد اُصْطُفِيَ لينخرط في البناء الشامل لصرح الأمة، وتخريج جيل ملتزم بالقرآن،قائلا في أحد قصائده (ولما جاد الوهاب عني بنشرها أهلّني للتجريد من حيث لا أدري)[٢].

بناء على ما سبق فإن الشيخ العلاوي يرى أن الدين هو أساس التقدم والنهوض للأمة الإسلامية، ولكي يتحقق هذا التقدم لابد من العمل على إحياء هذا الدين، والرجوع إلى الأصول الحقيقية للإسلام، وسلاح هذا النهوض هو القرآن الكريم، وأساس الدعوة إلى التجديد والإصلاح عند العلاوي، وبدونه لن ولم تتقدم أي أمة؛ فهو أساس خروج الأمة الإسلامية من الغفلة، وسبيل نجاتها والمرجعية الأساسية الأولى والأخيرة، وهو أساس الحياة، والطريق الموصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى.

ولكى تتحقق الفائدة المرجوة -وهي إحياء صورة الفكر الإسلامي- لابد من إبراز دور ذوي الإصلاح والفكرالذين تبنوا هذا الدور، ومنهم: جمال الدين الأفغاني[٣]، والإمام محمد عبده[٤] والكواكبي[٥] وغيرهم، وكل هذه الشخصيات في حاجة إلى الدراسة من أجل النهوض بالأمة وتوعيتها بما يحدث الآن من فوضى وتشكيك وتضليل، وكل هذا تحت مسمى الدين أو الإسلام وهو بريء من ذلك، ومما ينسب إليه من دعاوى وفتاوى لا تقوم على النص الصريح من القرآن والسنة. وهكذا يعد العلاوي من الإصلاحيين، ويرى أنه لكي يتم ذلك الإحياء لابد من مقاومة بعض التعاليم الغربية التي تقف عائقًا في طريق الدين.

ثانيا: <u>مقاومة الشيخ العلاوي للتعاليم الغربية:-</u>

قام الشيخ العلاوي برفض التعاليم الغربية، ومنها الوطنية والقومية، وليس معنى رفض العلاوي لبعض من التعاليم الغربية أنه ضد المدنية المعاصرة، بل هو ضد كل من يقف في طريق الدين، ويقلل من قيمته؛ فالدين لديه هو المرجعية الأساسية للنهوض بالأمة.

١-<u>موقفه من الوطنية:-</u>

إن الوطنية هي أولى التعاليم الغربية التي قاومتها الطريقة العلاوية من خلال صحيفة (لسان الدين)، واعتبرتها نافعة من جهة ومضرة من جهة أخرى. ولذلك اعتبرت صحيفة لسان

---

١)(سورة الإسراء: الآية ١٩)

٢)العلاوي، الديوان، ص٤٩

٣) محمد جمال الدين بن السيد صفتر الحسيني الأفغاني(١٨٣٨م – ١٨٩٧م)،أحد الأعلام البارزين في النهضة المصرية، ومن أعلام التجديد في الفكر الإسلامي،وكان يرمى إلى إصلاح العقول والنفوس ثم إصلاح الحكومات،وربط ذلك بالدين.{أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت، ص٥٩}

٤) محمد عبده(١٢٦٦ – ١٣٢٣هـ/١٨٤٩–١٩٠٥م)أحد الرواد الإصلاحيين في الفكر الحديث،وكان يعتمد نبوغه على عنصرين،استعداده الفطري وبيئته.{ المرجع السابق، ص٢٨٠ }

٥)عبد الرحمن الكواكبي(١٢٧١ – ١٣٢٠ هـ /١٨٥٥ – ١٩٠٢م)أحد رواد النهضة العربية ومفكريها في القرن التاسع عشر،وأحد مؤسسي الفكر القومي العربي من مؤلفاته طبائع الاستبداد وأم القرى.{المرجع السابق، ص٢٤٩ وما يليها}

الدين أن الأمة الإسلامية التي تتكون من شعوب متباينة الأجناس، لا يوحدها إلا الدين، وتعويضه بعنصر وحدة آخر تشتت فلا دين أبقت ولا وطنية أقامت.ولا يمكن للمسلمين أن يقلدوا الأوروبيين في ذلك، لأن شعوب أوروبا لم تجد في الديانة المسيحية ما يحقق وحدتها فلجأت إلى الوطنية، فجرت عليهم ويلات الحروب التي أزهقت أرواحهم،وهم أحرص الناس على الحياة، وما ذلك إلا بفعل الغلو في الروح الوطنية،وعدم الالتفات إلى الروابط الدينية. وعلى المسلمين الاعتبار[١].

أما صحيفة (البلاغ الجزائري) فأوضحت أنها لم تكن ترفض الوطنية بمعنى حب المرء لوطنه وتعلقه به، لأن محبة الأوطان عاطفة إنسانية شريفة، لا يفقد نزعتها إلا غليظ الطبع جافي الخلق، ولكن ترفض ما آلت إليه؛ حيث أصبحت عقيدة في قلوب العصريين، وأدت إلى أن يرى المسلم أخاه المسلم بالعين التي يرى بها الأجنبي عن الدين، لأنه ابن وطن غير وطنه[٢]، فحلت قدسية الوطن محل قدسية الدين، وتؤكد البلاغ على أن هذه العقيدة كثيرا ما تحكمت بأقوام فأنستهم حظهم من الله ومن الدار الآخرة، فقدسوها وبذلوا في سبيلها كل غال ورخيص.

فدعوة الطريقة لمحاربة الوطنية إنما جاءت -حسب رأي العلاوي- حفاظا على مكانة الدين في الأمة، ولأن الوطن والوطنية خطر على الوحدة الدينية ومن مكر الشيطان، لتحويل الوجهة عن الرابطة الدينية إلى الرابطة المذهبية وهي الخطوة الأولى في انقسام الأمة الإسلامية[٣].

مجمل القول إن رفض العلاوي جاء على أساس أن المراد من الوطنية هو أن يقدم حب الوطن على حب الدين، ولكن لابد وأن يكون حب الوطن من حب الدين، وأن الحب الحقيقي للوطن من الإيمان، ومن الدين، بل هو واجب على المسلمين.

٢-معاداته للأفكار القومية[١]:-

القومية هي حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم، على أساس من رابطة الدم واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين، وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا[٢].

---

١) غزالة بوغانم، الطريقة العلاوية في الجزائر ومكانتها الدينية والاجتماعية (١٩٠٩-١٩٣٤)، رسالة لنيل درجة الماجيستير، إشراف د|عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري قسنطينة ،٢٠٠٧-٢٠٠٨،صص٢٠٥-٢٠٦

٢) العلاوى، من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان "هل يجمل بأبناء المسلمين ما نراهم الآن فاعلين...!" العدد ٢٧ ،ج١ ، ١٩٢٧ ، ص ١٠٣

٣) العلاوى، من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان "إلى الوطنيين من أبناء ملتنا" العدد ٥٧، ج١، ١٩٢٧، ص ٢١٢

١) ظهرت بدايات الفكر القومي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، متمثلًا في حركة سرية تألفت من أجلها الجمعيات والخلايا في عاصمة الخلافة العثمانية،ثم في حركة علنية في جمعيات أدبية تتخذ من دمشق وبيروت مقرا لها، ثم في حركة سياسية واضحة المعالم في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس سنة ١٩١٢،ومن الأفكار والمعتقدات يعلي(يرفع) الفكر القومي من شأن رابطة القربى والدم على حساب رابطة الدين، وإذا كان بعض كتاب القومية العربية يسكتون عن الدين، فإن بعضهم الآخر يصر على إبعاده إبعادًا تاما عن الروابط التي تقوم عليها الأمة، بحجة أن ذلك يمزق الأمة بسبب وجود غير المسلمين فيه، ويرون أن رابطة اللغة والجنس أقدر على جمع كلمة العرب من رابطة الدين؛حيث إن أساسها إبعاد الدين الإسلامي عن معترك حياة العرب السياسية والاجتماعية والتربوية والتشريعية، فإنها تعد ردة إلى الجاهلية،وضربًا من ضروب الغزو الفكري الذى أصاب العالم الإسلامي، لأنها في حقيقتها صدى للدعوات القومية التي ظهرت في أوروبا(الندوةالعالميةللشبابالإسلامية،الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة،الرياض، ط ١٩٨٩،٢،ص ٤٣٥-٤٣٦وما يليها).

فالقومية من التعاليم الغربية التي قام الشيخ العلاوي برفضها، لأنه وجد أنها تمثل خطرا على أبناء الوطن وعلى دينه؛ فمن أهم المقومات التي تقوم عليها القومية العربية هي: اللغة والدم والتاريخ والأرض والآلام والآمال المشتركة؛ فأصحاب الفكر القومي يرون أن العرب أمة واحدة لها مقومات الأمة، وأنها تعيش على أرض واحدة هي الوطن العربي الواحد، الذي يمتد من الخليج إلى المحيط، كما يرون أن الحدود بين أجزاء هذا الوطن هي حدود طارئة، ينبغي أن تزول، وينبغي أن تكون للعرب دولة واحدة، وحكومة واحدة، تقوم على أساس من الفكر العلماني، ويدعو كذلك الفكر القومي إلى تحرير الإنسان العربي من الخرافات والغيبيات والأديان -كما يزعمون- لذلك يتبنى شعار: (الدين لله والوطن للجميع)، والهدف من هذا الشعار إقصاء الإسلام عن أن يكون له أي وجود فعلي من ناحية، وجعل أخوة الوطن مقدمة على أخوة الدين من ناحية أخرى.

كذلك يرى الفكر القومي أن الأديان والأقليات والتقاليد المتوارثة عقبات ينبغي التخلص منها من أجل بناء مستقبل الأمة، ويقرر الفكر القومي أن الوحدة العربية حقيقة، أما الوحدة الإسلامية فهي حلم[١].

فالشيخ العلاوي رفض كل ما آلت إليه القومية، وجاء يحذر المسلمين من ذلك الداء المستورد أن يتمكن منهم قائلا:(وما قلت هذا إلا لما تفرسته من إخواننا المشارقة من جهة شغفهم بالمدنية الغربية، فخشينا أن يأخذوها بأجمعها على ما هي عليه فتضرهم بقدر ما تنفعهم..ليس كل جديد يؤخذ ولا كل قديم يرد).

ولا يعنى هذا أن العلاوي يرفض كل التعاليم الغربية، أو أنه ضد المدنية المعاصرة، بل جاء رفضه لتلك التعاليم التي تنافي مبادئ الدين الإسلامي العظيم، ولأنها تقف في طريق الدين ووحدة المسلمين.

فالعلاوي يرى أن إصلاح الأمة المحمدية في إصلاح دينها،ومتى انحلت رابطة الدين فلا إسلام ولا مسلمين، فالإسلام ملة شعوب وأجناس مختلفة لا وحدة لها إلا وحدة الدين،بل قناعتها أن كل الناس يعتبرون بأجناسهم إلا المسلمين فإنهم يعتبرون بدينهم،وقوم بالأمس كانت بالدين، فتبا لهم إن عادوا بعد إسلامهم هنودا أو مصريين،أو مغاربة، وشرقيين[٢].

يتبين مما سبق أن فكرة القومية عند العلاوي مرفوضة لأنها مخالفة للشرع،وأن جميع الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية تبين أن الرابطة بين المسلمين يجب أن تكون رابطة العقيدة الإسلامية، أي الدين، وليس اللون والجنس، وجاء ذلك في قوله تعالى"لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"[٣].

لم يتوقف المشروع التجديدي العلاوي على رفضه للتعاليم الغربية فقط، بل رفض كل ما فيه شبهة ومظهر من مظاهر الانحلال الأخلاقي، ووقوفه ضد التجنيس والتنصير والتبشير، لأنه وجد أن ذلك فيه وبالا على قوميته، ويشكل خطر اً على أمته؛ حيث قال عنها (أي عن التعاليم الغربية) (إنها وبالا على أمته وقوميته، فأدخلت على أبناء جنسه من الوساوس والشكوك بقدر ما أدخله عليه الغربيون، ولهذا نراه يتكلم بلسان الغير لا بلسانه، ويعبر عن شعور الغير لا عن شعوره وكأنه غيره... ولا يستحسن شيئا من معتقدات قومه، وعوائد أبناء جنسه...في جميع أطوارهم

---

[٢])المرجع السابق، نفس الصفحات

[١]) المرجع السابق، ص ص٤٣٧-٤٣٨

[٢])غزالة بوغانم، الطريقة العلاوية في الجزائر ومكانتها الدينية والاجتماعية، ص٢٠٧

[٣])(سورة المجادلة:الآية٢٢)

المادية والأدبية إلا ما استحسنه قانون العصر الذي لا يبقي ولا يذر من الصبغة الدينية إلا ما عسر زواله عليه، ولا شيء عليه بعسير!)[١].

إذا فإن وحدة الدين هي الأساس في تقدم الشعوب،والنهضة الحقيقية للدين لن تتم إلا بتخليص الفكر الإسلامي من هذه الأفكار، وهذا لا يعني رفض الشيخ العلاوي لكل الغرب،ولكن علينا أن نأخذ منها ما يناسبنا، وما يتوافق مع الإسلام ومع الواقع المعاش وفقا لمتطلبات العصر،ولكن بالرجوع إلى ما يوافق النص الديني.

ثالثًا، تفعيل دور المثقفين:

وبعد أن قام العلاوي بالعمل على إحياء الدين الإسلامي، ومقاومته للتعاليم الغربية بالأدلة والبراهين والحجج، ووقوفه ضد كل ما فيه شبهة وانحلال أخلاقي، فإنه يرى أن هذا الإصلاح لا يتحقق إلا بعدة وسائل أخرى، وجاء ذلك في قوله(**إن الإصلاح لا تجنى ثمرته ...إلا إذا دخلنا عليه من أبواب متفرقة وطرقناه من نقط متعددة)**[٢].ممثلة في:علماء الدين، والنواب، وخطباء المساجد، وشيوخ الزوايا.

لذلك قام بتوجيه رسالة إلى أبناء الإسلام عامة بقوله(أبناء الإسلام لم لا تفقهون ما أحيط بدينكم العزيز من الأخطار المدلهمة (أي الغامضة غير الواضحة)؟ فهل أنتم غافلون أو متغافلون؟ فلابد وأن يكون شيئًا من ذلك. وفي الواقع منكم ومنكم أما الغافل فحقه الانتباه ليأخذ حذره مما يهدد معتقداته وأخلاقه وأحكامه على الإطلاق التي هو بها مسلم،وأما المتغافل فيخشى عليه أن يعتبر نظيرالمهاجمين على الدين لأن سكوته يعتبر تقريرا وإلا فكيف تسمح نفس المؤمن الشحيح بدينه أن تدوس كرامته حوافز (بواعث أو دوافع) المعتدين وهو ساكن البال مطمئن البلبال!وأي عزيز أعز على المؤمن من دينه الذي هو أرق كل شيء يكتنفه بين جوانحه ويطوي عليه عواطفه)[٣].

فالعلاوي هنا يريد أن يعمل على بث الوعي الديني الصحيح في نفوس المسلمين، وشحن نفوسهم بالغيرة على الدين، وتبصيرهم وتوعيتهم بالمخاطر التي حلت على دينهم، لذلك قام بتذكير المسلم بدوره تجاه دينه، وذلك من أجل إعلاء قيمة الدين وقامته،وهذا لا يتحقق إلا بالانتباه من الغفلة التي تحوطه، والتي تهدده وتهدد دينه، لأن سكوته دليل على موافقته بما يتعرض إليه دينه، لذلك وجب عليه البعد عن كل ما يمس دينه، والوقوف ضد كل خطر يهدده، ولكن عليه أن يبدأ بنفسه؛ حيث قال تعالى "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"[١].

١- إصلاح علماء الدين:-

يذهب العلاوي إلى أن دور العلماء هو نشر رسالة الإسلام السمحة، وتصحيح المفاهيم المغلوطة لتبصير الناس بأمور دينهم، باعتبارهم القادة الروحيين للأمة، والورثة الطبيعيين لمقام النبوة، وسيظهر ذلك من خلال الخطب والدروس والندوات والقوافل الدعوية، فالعلماء ورثة الأنبياء[٢].

---

[١])العلاوى، من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان" إلى زعماء الأمة ومفكريها " العدد ٥٣ ،ج١، ١٩٢٨، ص ١٩٤

[٢])العلاوي، من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان "الإصلاح والمصلحون" العدد ٤٢، ج١، ١٩٢٧، ص ص٢٤٠-٢٤١

[٣])العلاوي، من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان "أبناء الإسلام مالكم لا تشعرون" العدد ٢٦، ج١، ١٩٢٧، ص ٩٩

[١])(سورة الرعد:الآية١١)

[٢])رواه البخاري في صحيحه (٦٧) في كتاب العلم (٣) في باب العلم قبل القول والعمل (١٠)، رواه أبو داود في سننه (٣٦٤١) في كتاب العلم (١٧) في باب الحث على طلب العلم، ورواه ابن ماجة (٢٢٣) في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم(١٧).

وهذا يعنى أنهم "ورثة الأنبياء" أي أنهم هم الذين يرثونهم علمًا وعملًا، ويقتدون بهم في السرِّ والعلن، ويلتزمون منهجهم في الغضب والرضا، ولا يكونون كمَنْ "يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ"[٣].أو كمن "أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ"[٤].

فالعلاوي يرى أن الأمة أحوج ما تكون عند النازلة إلى أهل العلم الراسخين والعلماء، قال الله تعالى عنهم "وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلًا"[٥]

فمهمة العالم الديني عند العلاوي جاءت في قوله (فهم وحدهم أهل الخشية، وأهل الإنابة، وأهل المهابة، وأهل الشجاعة، وأهل الأنفة، وأهل العزة والكرامة، وأهل كل فضيلة ... كفاهم أنهم كلما خلق الدين جددوه...أولئك حزب الله.. [و] كتائب الله في أرضه، والدعاة إلى دينه ... ورثة الأنبياء وخلاصة الأتقياء، فكم من كربة نفسوها ... وكم بذلوا النفس والنفيس في مرضاة الله... ما أحسن آثارهم على الناس وأقبح آثار الناس عليهم، يتلقون من الأذى في كل عصر وأوان، ويحتملون من المشاق ما لو وقع على الجبال الرواسي لدكت...أفردوا الوجهة لله، لا ليرفع شأنهم بين الخلق...ولكن ليكونوا مستعملين لله فيما يرضيه)[٦].

وبناء عليه نستخلص أن العلاوي، يرى أن علماء الدين، لابد وأن يتمكنوا من استعادة مهمتهم، واتباع السنة، والتمسك بها، والإبقاء على زمام قيادة المجتمع في أيديهم، كما فعل أسلافهم الأوائل، وذلك بإدراكهم لحقيقة الرسالة، التي أوكلت لهم مهمة تأديتها -التي تتمثل في خلافة الدعوة وقيادة المجتمع- دون غيرهم من العلماء أن يستفرغوا كل طاقاتهم وجهودهم، للدفاع عن الحق، وأن يلتزموا بكل التعاليم الدينية، حتى تقتدي بهم العامة -التي تنظر إلى أفعالهم لا إلى أقوالهم- وأن يتميزوا بكل ما يتصل بوظيفة العالم الديني؛ من غزارة في العلم و رجاحة في العقل، أن يكون الكتاب والسنة مرجعهم الأول،وأن يستندوا في أحكامهم الى الدليل القاطع.وجاء وصف العلاوي للعلماء بأهل الخشية لأنها من أهم الصفات التي جعلها الله من أخصِّ صفاتهم، كما في قوله تعالى: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"[١]، ولذلك قال الإمام أحمد لابنه عبد الله لما سأله عن معروف هل معه من العلم شيء؟ قال: معه رأس العلم: الخشية. يعني أنهم يخشون الله حق الخشية، ويقدرونه حق قدره؛ فهم الذين يتدبرون ويتأملون القرآن، ومن ثم يعرفون الله معرفة حقيقية، فهم يعرفون بآثار صنعته، ويدركون بآثار قدرته، ويستشعرون حقيقة عظمته برؤية حقيقة إبداعه،وجاء ذلك في قوله(ورأس العلم عندهم بعد معرفة الله عز وجل هو معرفة العالم مركزه في المجتمع، وما يطلبه منه المحيط الذي هو فيه)[٢].

٢-النواب:-

حمل الشيخ العلاوي في جريدته البلاغ نواب الأمة المسئولية عن تفشي الجهل فيها، وضياع حقوقها العامة، واتهمهم بالجهل وعدم الكفاءة، وأنهم لم يعرفوا واجبهم، فقال عنهم[٣]: (منهم من لا يعرف من واجبه إلا أنه نائب بلدي، أو عمالي، أو مالي، وإذا دعي للمجلس لا يزيد على أن يأخذ مقعده، ثم يجلس للإنصات كأنه من المتفرجين، وإذا خرج أخذ يحكي ما وقع في المجلس من المحاورة، وهذا إن كان له باللغة إلمام، ثم إنه مهما احتيج إليه لأجل التصويت فحضرة نائبنا

---

[٣])(سورة الحج: الآية١١)

[٤])(سورة الأعراف: الآية١٧٦)

[٥])(سورة النساء:الآية٨٣)

[٦])العلاوي،من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان "هكذا تبدل الأرض غير الأرض والسموات" العدد ١٤٧، ج١، ١٩٢٩، ص ص١٨٧-١٩٢

[١])(سورة فاطر :الآية٢٨)

[٢])العلاوي، من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان "إلى علمائنا.." العدد ٥١، ج١، ١٩٢٧، ص ١٨٧

[٣])البلاغ الجزائري، ع: ١٩٧، الجزائر: ٦ سبتمبر١٩٣٥

مستعدًا للتصديق على جميع ما يعرفه وما لا يعرفه، فهذه صبغة نوابنا في الغالب، أما النادر فهو مقهور تحت عوامل الأكثرية هكذا تجده، إن قال رد قوله، وإن سكت غص بريقه)[٤].

لذلك قام بتوجيه رسالة إليهم يحثهم على العمل من أجل إصلاح الأمة وحفظ دينها وتحقيق مقاصد الشريعة، بقوله: (أيها السادة، إننا واجهناكم بحديث له من المرارة حظه، ومن الصلابة قسطه، لا لأنكم أهون الناس علينا كلا، وإنما لكونكم محط الأمل فخشينا أن يضيع أملنا بتساهلكم، وسوف يذهب شرف الأمة جميعا ضحية سكوتكم المميت، ورضوخكم المتواصل)[٥].

فبهذا يذهب العلاوي إلى أن النواب الذين يحق لهم مناقشة مختلف قضايا الأمة عليهم واجب مقاومة الفساد، والدفاع عن مصالح الأمة، وإحياء مواتها، برفع قيود الجهل عنها، والمطالبة بالتعليم المزدوج لأبنائها، وإنقاذهم من كابوس الفقر، وحماية علمائها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١] .

لذلك قام العلاوي يحث النواب على واجبهم نحو دينهم، وما أحيط بهم من خطر واضمحلال من أجل توجيه الناس إلى الاتصاف بالأخلاق، لأنهم هم أعلم بها فقال (فحاجتنا بكم أسمى من ذلك وأرفع، فمالنا، والطرقات، والقنوات، ونحن ... قوميتنا في اضمحلال، وديانتنا على خطر عظيم، أما الأخلاق فأنتم على علم بما هي عليه، أبناؤكم بين سجون وحانات ومقاهي وطرقات، لا علم، ولا عمل، ولا جاه يرتجى، ولا مال يعتمد عليه، فقر ومكر، ظلمات بعضها فوق بعض)[٢].

٣-خطباءالمساجد:-

مثلما فعل الشيخ العلاوي مع نواب الأمة فعل مع خطباء المساجد، وأخذ يحثهم على العمل، وعلى أهمية دورهم في إحياء الدين الإسلامي، وكيفية مخاطبة الجماهير، من أجل توعية الناس، وإعلامهم بما أحيط بدينهم لأنهم أساس الدعوة والتجديد؛ حيث قال (أي شيء يستفزكم إذا لم تستفزكم دواهي القرن الرابع عشر؟ تلك الأخطار المحيطة بأهلكم وعشيرتكم وأبنائكم وبناتكم، ترونها رأي العين وأنتم صامدون لا تبدون حسيسا ولا تنتقدون، أما يحسن بكم أن تقوموا من بيننا صارخين مذهولين منفعلين، وما عليكم أن تتحطم أعواد المنابر من تحت أقدامكم أو تبح من كثرة الصياح أصواتكم)[٣].

أخذ العلاوي يذكرهم بدورهم وواجبهم، وبأن لهم مكانة عالية، وأن أصواتهم مسموعة، وأمرهم متبوع، لأنهم يبلغون عن الله؛ حيث قال عنهم (رجال تخضع الرقاب عند وقوفهم، وتخشع الأصوات عند حديثهم، يرمقون بعين التبجيل والإعظام، حديثهم مسموع، وأمرهم متبوع، يبلغون عن الله ما أنزل لعباده، وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما شرعه لأمته، فسبحان من أوقفهم في بيوته وأجلسنا، وأذن لهم بالكلام وأخرسنا، وقدمهم في المحاريب وأخرنا، فأنتم أيها السادة المبلغون ونحن السامعون)[٤].

---

[٤])العلاوي، من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان "إلى نواب الأمة" العدد ١١٩، ج١ ١٩٢٩، ص ٢١٥

[٥])المرجع السابق، ص ٢١٧

[١])العلاوى، من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان "نظرة إجمالية في النيابة الأهلية بالقطر الجزائري" العدد ١٣١، ج١، ١٩٢٩، ص ٢١٨

[٢]) العلاوي، من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان "إلى نواب الأمة" العدد ١١٩، ج١، ١٩٢٩، ص ٢١٥

[٣])العلاوي، من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان "إلى خطباء المساجد" العدد ١٢٠ ج١، ١٩٢٩، ص ٢٠٦

[٤])المرجع السابق، ص ٢٠٤

إضافة إلى ما سبق لم يتوقف دور العلاوي على توجيه الخطباء والعلماء والنواب، وتذكيرهم بأدوارهم -التي من واجبهم، ولم يكن عليهم انتظار من يذكرهم به- وإنما قام –كذلك- بدعوة شيوخ الزوايا أيضا، وهو ما سيتضح فيما يلي.

٤-شيوخ الزوايا:-

تصدى الشيخ العلاوي لخطر فرنسة الجزائر، بتعليم أتباعه، وإرسال الدعاة إلى جميع أرجاء الجزائر؛ حيث شيد الزوايا لتكون صروحًا علمية، وأقام الندوات الفكرية والمحاضرات والمؤتمرات.

يقول العلاوي (ما كان يجمل بمثلي...أن ينتصب لتذكيركم وأنتم المذكرون، أو ينتدب لوعظكم وأنتم الواعظون... لولا أن في القوم من فشلت عزائمه، وتضعضعت دعائمه، فأصبح يعمل على خلاف ما يطلبه منه المقام الذي لم يكن إلا لمحض التذكير)[١].

ويذكرهم بشرف منزلهم، وعلو مقامهم، وما كساهم الله به من الهيبة والمهابة حتى صاروا الأعلى يأمرون وينهون، مسموعو الكلمة عند العامة لانتسابهم لله، لا بسبب مواهب خاصة، ودعاهم لتوظيف نفوذهم الذي منحهم الله إياه في تبليغ دعوة الدين لأتباعهم، وبث روح جديدة فيهم، ويأخذوا عنهم العهود أكيدة للالتزام بالواجبات الدينية، لتجديد مجد الأمة التي لا مجد للأمة إلا بمجدد دينها، ومن لم يستغل نفوذه لهذه الغاية فلا أبقى الله بيده نفوذا.

فالعلاوي يستغرب من تقصير الشيوخ، ويتساءل عمن وكلوه للقيام مقامهم في مواجهة التحديات والمخاطر المحدقة بدينهم، في ظرف أصبح الدين غريبا بين أهله، مهددا من أعدائه، يرتقب نجدة أبنائه، لينشروا ما اندرس من تعاليمه ويحيوا ما اندثر من معالمه، وهي من حقوق الوقت التي لا يمكن قضاؤها إن فاتت، والتفريط فيها أدى إلى ضعضعة أركان الدين، وانحلال أوصاله، حتى طمع في تنصير أبنائه المبشرون، وفي تشكيك أفراده الملحدون[٢].

إن حاجة الأمة إلى هؤلاء المثقفين، كبيرة عند العلاوي، لكي يجددوا لها ثقافتها التي كان ماضيها مشرقا، بسبب ما أصابها من جمود وركود، كل ذلك بسبب تخليهم عن المسئولية، مما أدى إلى تفشي الجهل بين أبناء الأمة، لذلك قام العلاوي بالدعوة إلى إحياء التراث الإسلامي، وتفعيل دورهم في النهوض بالأمة. ويرى العلاوي أنه لابد من استخدام وسائل تتيح لهم الفرصة لكي يؤدوا دورهم على أكمل وجه من أجل إعلاء قيمة الدين وقامته وإحيائها جميعا، وبث الدعاية الإسلامية، ونشر الإسلام، وحفظ مقاصد الشريعة، لذلك قام العلاوي باستخدام الصحافة وإنشاء الجمعيات والاحتفالات.

رابعا: الصحافة: -

أنشأ الشيخ العلاوي الصحف باللغتين العربية والفرنسية حتى تصل الكلمة لقطاعات الشعب كافة، فقد عرف عنه أنه عالم رباني، ومصلح اجتماعي، وكاتب صحفي، يتسابق القراء على قراءة ما يكتب، لسعة ثقافته وأهمية المواضيع التي كان يتناولها، حيث اتخذ الصحافة منبرا لنشر أفكاره، والتعريف برسالته الإصلاحية والتربوية.

جاهدت الصحافة العربية إذن جهادا كبيرا، وكافحت في الميادين السياسية مكافحة البطل المغوار في ميادين القتال، وقد استولت بالفعل على أفكار العامة، واحتلت قلوبهم، وأخذت بجميع مشاعرهم، حتى أصبحت كلمة الصحف في الأمم الإسلامية المتمدنة تكاد أن تكون أية الكتاب

---

[١])العلاوي، من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان "إلى مشايخ التصوف وأرباب الزوايا أعني الخاصة منهم لا المتداخلين" العدد ١٢١، ج١، ١٩٢٩، ص١٨٢

[٢])المرجع السابق، ص ص١٨٢:١٨٤

الذي "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه" وافتتنت الناس بقراءتها حتى كأنها صحف قيمة أنزلت من السماء على المبشرين والمنذرين[1].

ويعد الشيخ العلاوي صاحب الريادة وواضع الأسس الأولى لميدان الصحافة العربية في الجزائر، ويتجلى لنا ذلك من خلال مقولته القيمة التي وردت في افتتاحية العدد الأول من صحيفة البلاغ الجزائرية حين قال: (بما أن الصحافة تعتبر بكتابها، كما أن الأمة تعتبر بصحافتها؛ فالصحيفة هي المرآة المجلوة لتمثيل ذات الأمة بين الأمم، وهي الواسطة بينها وبين حكومتها، وهي المنبر العام لخطبائها، وهي السائق الوحيد لأفكارها)[2].

ويرجع السبب في استخدام العلاوي للصحافة من أجل مهاجمة القوانين التعسفية الجائرة، التي تميز بين الصحف الصادرة بالفرنسية التي تحابي الاستعمار الفرنسي بالحرية، وبين الصحف القومية الجزائرية الصادرة باللغة العربية، التي كانت تخضع لرقابة مشددة من جانب الاحتلال[3].

لذلك أصدر الشيخ العلاوي صحيفتين، الأولى: صحيفة لسان الدين (١٣٤١-١٩٢٣م)، والثانية: صحيفة البلاغ الجزائري (١٩٢٦-١٩٤٨م)، والآن سنتحدث عن أهمية كل صحيفة منهما، ودورها في الدفاع عن الهوية والشخصية الجزائرية، وكيفية نشر الإسلام، ومواجهة التبشير وكل أعمال الإدماج والتفرنج والتنصير، وما شابه ذلك من أعمال تؤدي إلى انهيار وضع الجزائر.

أ-صحيفة "لسان الدين":-

تعد صحيفة "لسان الدين" من أهم الصحف الجزائرية التي جاهدت في سبيل الله، جاء التعريف بها أنها (جريدة دينية سياسية، إخبارية، أسبوعية، أسست لإعلاء كلمة الدين)[1]؛ حيث صدر أول عدد منها يوم الثلاثاء في الرابع عشر من جمادى الأولى ١٣٤١هـ-١٩٢٣م.

جاء في مقالها الافتتاحي (نحمدك اللهم يا من ألهمتنا أن نطرق باب الرجاء بأنامل التوكل عليك، فإنا نستمنحك أن ترزقنا عملا خالصا لوجهك بمحض جودك وفضلك، ثم أسالك أن تصلي على إمام ذوي العزائم رسولك ونبيك ... وعلى آله وأصحابه القائمين بنصرة الحق ... الرجل منهم بدون أمة يدعى أمة، والأمة بدون رجل منهم لا تساوى فتيلا، أولئك الأقلون عددا، والأعظمون قدرا وتبجيلا، تعس والله الوجود بدونهم، وخسر بفقدانهم، فما أحوج الأمة إلى أقل رجل منهم يمد لها يد المساعدة...)[2].

وناشدت الصحيفة الكتاب ذوي الفكر النير والمستنير أن يفيدوها بآرائهم السديدة عمن يرونه المسئول عن انحرافها لتناقشه الأمة الحساب، ويتحمل مسئوليتها، ولتستعين برأيهم في تأييد هذا المشروع، يقول الشيخ العلاوي (المؤمن ضعيف بنفسه قوي بأخيه)[3].

-هدف الصحيفة وأهميتها:-

جاءت "لسان الدين" من أجل إحياء صحيح الدين الإسلامي؛ فالعلاوي يرى أن كل ما أصاب الأمة هو بسبب انحرافها عن دينها، وعدم الاهتمام بالعلوم الشرعية، قائلا: (إن كل ما أصاب

---

[1]) عدة بن تونس، تنبيه القراء إلى كفاح مجلة المرشد الغراء، المطبعة العلاوية بمستغانم، ط١، ج٢، ١٩٩٠، ص١٧٤

[2]) العلاوي، من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان "إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين" العدد ١، ج١، ١٩٢٦، ص٥٦

[3]) محمد الصالح ايت علجت، جهود الشيخ العلاوي في ميدان الصحفي "صحيفة لسان الدين نموذجا" الجزائر، جمعية الشيخ للتربية والثقافة الصوفية، جامعة مهران الجزائر، من كتاب التربية والمعرفة لمآثر الشيخ العلاوي ٢٠٠٢م، ص ص٢٩٥-٢٩٦

[1]) محمد بن عبد الباري التونسي، الشهائد والفتاوى، ص ٥٨

[2]) عدة بن تونس، الروضة السنية، ص٧١

[3]) ويقصد هنا بذوي الفكر النير العلماء، والمدرسون، والمشايخ المرشدون، والأغنياء المكثرون، والأمراء المستبدون. {أحمدحماني،صراع بين السنة والبدعة،ج ١،ص ١٠٦}

الأمة هو بسبب انحرافها عن دينها القويم، ففقدت بذلك آداب الدنيا والآخرة، وما هي الآن إلا كما تراه من أبنائها شاخصة أبصارهم، كأنهم بالموقف لا أنساب بينهم ولا يتساءلون، يحسبون أنهم خلقوا ليعيشوا أفذاذا يأكلون ويشربون، إن السبب في ذلك هو عدم اعتنائنا بالأحكام الشرعية)[٤].

لم تعلن "لسان الدين" أنها ناطقة باسم الطريقة العلاوية، وذلك لما تناولته من موضوعات ضد فرنسا وجيشها، فمن أهم الموضوعات التي تناولتها أنها اهتمت بأحوال المسلمين الجزائريين، وتحليل الوضع الديني لمسلمي الجزائر، واتصاله المباشر بالوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والأخلاقي والسياسي، كما اهتم فيها الشيخ العلاوي بالإصلاح الديني، وضرورة الالتزام بالشرع وبالأخلاق الإسلامية، والعمل بما أمرنا الله تعالى، وتجنب ما نهانا عنه، كما كتب عن الخلافة الإسلامية، وأوضح أن سقوط الخلافة هو غيابة الكارثة الكبرى التي حلت بالإسلام، لما كانت الخلافة تمثله من شعار موحد للمسلمين، وأملهم في الاتحاد، بغض النظر عن إيجابيات السلطان العثماني أو سلبياته، وكذلك اهتمت صحيفة "لسان الدين" بشكل كبير بمحاربة التفرنج والانحلال، والسعي في الحفاظ على الشخصية والهوية الوطنية، كل ذلك أدى إلى أن تقوم السلطات الاستعمارية بتوقفها، ومنعها من الصدور، وذلك بعد صدور ثلاثة عشر عددًا فقط[١].

وكان نتيجة ذلك أن قام الشيخ العلاوي بحملة صحفية أخرى لكي تواجه الحملة التي كانت تهاجم نشاطه، وتتهمه بالبدع والخرافات والأوهام، وتندد بالطرق الصوفية إجمالا، مستهدفة طريقة الشيخ العلاوي على وجه الخصوص، لذلك أنشا جريدة "البلاغ الجزائري" عام (١٩٢٦-١٩٤٨م). كما قام بإنشاء مطبعة خاصة بها، حتى لا يحدث لها مثلما حدث مع جريدة "لسان الدين" وصارت جريدة "البلاغ" من أكثر الجرائد العربية الأسبوعية انتشارا[٢].

ترى الباحثة أن الخلافة الحقة والصحيحة هي التي تقوم بتطبيق أحكام الإسلام والشريعة وتنفيذها، وتقوم على وحدة الوطن والتماسك بين المسلمين، أما إذا كانت تقوم على أغراض ومصالح شخصية فهذا مرفوض، أما رأي العلاوي، فالباحثة ترى أن هدفه يتمثل في الرد على الاستعمار، الذي يتمثل هدفه في طمس الهوية الوطنية الجزائرية، والدليل على ذلك أنه قال لشعبه: أن من رأى منه أو سمع عنه أنه يقوم بما يخالف الشرع فليوجهه، وجاء ذلك بقوله: (أيها الحاضرون، ليبلغ شاهدكم غائبكم، أن من رأى منا أو سمع عنا، أو أمرناه بشيء مما يخالف الشرع الشريف، فالله حاسبه، إن وافقنا على ذلك، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وما أنا إلا معلم الخير فيما أعتقده، فمن رأى مني خيرا فليعينني عليه، ومن رأى مني شرا فلينبهني إليه، فإن انتهيت فذلك، وإلا فعليه بخويصة (أي خدمة) نفسه)[٣].

بناء على ما سبق، يعد الشيخ العلاوي في مقدمة المدافعين عن عقيدة أهل السنة، والبعد عن كل ما يخل به الشرع والدين الإسلامي، فحفظ الدين مقدم شرعًا على حفظ الوطن.

ب-صحيفة البلاغ الجزائرية (١٩٢٦-١٩٤٨م):-

هي جريدة أسبوعية صدر عددها الأول في الثامن عشر من جمادى الثانية في عام ١٣٤٥هـ الموافق للرابع والعشرين من ديسمبر عام ١٩٢٦م بمستغانم، وقد تعدد مديروها، ثم انتقلت إدارتها لوكيل الزاوية عدة بن تونس، وقد وصفها المدني بأنها (ذات برنامج ديني إسلامي وطني)[٤].

مقالها الافتتاحي (أحمدك اللهم يا من جعلت البلاغ ذخرا للمؤمنين، بعد ما بعثت فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين...)[١].

---

[٤])عدة بن تونس، الروضة السنية، ص٧٢

[١])محمد الصالح ايت علجت، جهود الشيخ في الميدان الصحفي "صحيفة لسان الدين نموذجا" الجزائر، ص ص٣٠١-٣٠٢ وما بعدها

[٢])أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط١، ج٢،١٩٩٢، ص٣٩٤

[٣])البلاغ الجزائري أضاميم المد الساري،مقالة بعنوان "درس الشيخ العلوي- يوم الاحتفال بعاصمة الجزائر"، العدد ٤٦ ،ج ١،١٩٢٧،ص ٢٥٩

[٤])أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص – ص٣٧١-٣٧٢

[١])عدة بن تونس، الروضة السنية، ص٧٤

جاءت هذه الصحيفة في عددها الأول على أنها: (عاملة في خدمة الدين والوطن، غايتها بذل الجهود في إيضاح المقاصد الدينية، والفوائد الشرعية، زيادة على ما ستطرقه من الأبحاث الهامة، والنصائح العامة، معتمدة على الله في تحقيق الإنتاج، وتقويم الاعوجاج)[٢].

اعتبرت صحيفة البلاغ الجزائري نفسها وسطية، ترفض الطعن في أي طبقة من طبقات الأمة، وفي أي مذهب من مذاهبها، ما دام لا أحد يمكنه نيل إجماع الأمة، فيكون محل ثقتها ومرجعيتها الوحيدة، والكل في دعواه ومذهبه يدعي الاستناد إلى القرآن والسنة وإجماع الأمة، وعليه، لم يبق إلا أن نحسن الظن ببعضنا بعضا مراعاة لمصالح الأمة، لذلك قال: (فمن صلاح الأمة وإصلاحها أن لا يتساهل في تنقيص سلفها ولا يمس بسوء أي مذهب من مذاهبها ما دام الجميع متحدا على كلمة الإخلاص، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وإن اختلفوا فيما عدا ذلك من الفروع...)[٣].

-أهمية البلاغ الجزائري:-

هي صحيفة علمية إرشادية، تهتم بالجانب الديني والاجتماعي، ومعظم مقالاتها[٤]موجهة للدفاع عن الدين الإسلامي، والرد على حقوقه، والانتصار للتصوف الإسلامي، والصوفية التي تعرضت لهجمات كثيرة، وكذلك كشف خطط المبشرين وخطورتهم على الإسلام والشباب الجزائري، ووقوفها ضد التجنيس والإلحاد والإباحية ووبال السفور[٥].

وأصبح شعار جريدة البلاغ "نحن مسلمون قبل كل شيء" وفيها دعوة إلى المسيحيين إلى توحيد الله تعالى، والرجوع عن عقيدة التثليث بحكم وبراهين، مستدلا في ذلك ببعض نصوص الكتب المقدسة، كالعهد القديم، والعهد الجديد، وبعض الأناجيل، وكل ذلك أدى إلى أن اعتنق الكثير من المثقفين من الأوروبيين والمسيحيين الإسلام كما سنوضح في تأثير الشيخ العلاوي على الغرب[١].

كانت الصحافة إذن أحد العوامل المؤثرة في نهضة الجزائر، وإيقاظ الشعوب، ورد المعتدين، وقمع الظالمين، لذلك سارع علماء الجزائر، لإنشاء صحافة تدعو لنبذ البدع والخرافات التي تفسد الدين والدعوة للاتحاد، والأخذ من حضارة أوروبا بكل حسن نافع، عملا بوصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأن يطلب المسلمون العلم ولو في الصين.

٤-الجمع السنوي:-

---

[٢])العلاوي، من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان "إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين" العدد ١، ج١، ١٩٢٦، ص٥٦. /عدة بن تونس، الروضة السنية، ص٧٥

[٣])(البلاغ)، البلاغ الجزائري، العدد: ١٩ ،١٣٤٥،ص ٦٠

[٤]) أهم الموضوعات والمقالات التي تناولتها البلاغ الجزائري:-الإسلام وتعاليمه،كيف نتوخى الإصلاح ،لا يترك الناس من أمر دينهم شيئا ،من المؤسف ألا يدرك المسلم ما حلَّ بدينه ،ما أحوج المؤمن لأخيه المؤمن في عصر ضعف فيه الإيمان ،أبناء الإسلام ما لكم لا تشعرون؟،هل يجمل بأبناء المسلمين ما نراهم الآن فاعلين؟،هل تسمح لنا تعاليم العصر بالبقاء على الإسلام؟،الإسلام يطلبنا المحتاجون لبث دعاية إسلامية،شعورالأمة بالواجب نحو دينها،أخطار التبشير على العالم الإسلامي بأفريقيا الشمالية على الخصوص(ليس التبشير غاية استعمارية)اهتداء أحد المبشرين وأجوبة الأستاذ العلوي.

[٥]) يحيى برقة، الشيخ العلاوي المؤلف والكاتب الصحفي، جمعية الشيخ للتربية والثقافة الصوفية، جامعة مهران الجزائر، من كتاب التربية والمعرفة لمآثر الشيخ العلاوي، ٢٠٠٢، ص٢٧٢

[١])عبد القادر بن طه، الضياء اللامع في تعريف منبع النور الساطع سيدي الشيخ العلوي المستغانمي الذى هو لعلمى الشريعة والحقيقة جامع (١٨٦٩-١٩٣٤)،دار هومه، ٢٠٠١، ص١١٤

هو (عبارة عن اجتماع ديني بحت، تتبادل فيه النصائح والمواعظ بين من يحضره من خاصة الأمة وعامتها)[٢]. يقع هذا الاحتفال بمستغانم باسم الطائفة العلاوية، حيث كانت تحضره طوائف من فئات مختلفة من الأعيان والفضلاء والعلماء وغيرهم.

وكان يقوم هذا الجمع أو الاحتفال على أساس دعوة موجهة من الشيخ العلاوي إلى العلماء الإصلاحيين بلهجة مليئة بالمحبة لحضور المؤتمر والتفاهم لإزالة أسباب الاختلاف، والتعاون على خدمة مصالح الأمة، ونهي العلاويين عما هو مخالف للشرع، ومعاضدتهم إن وجدوهم على الصراط المستقيم في قولهم (إليكم أيها السادة الكرام،والعلماء الأعلام،أوجه خطابي وأنهي كلامي، بصفتكم داعين إلى الكتاب وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أسعدنا وأسعدكم بإقامة هاته الدعوة، والعمل على ما تقتضيه التقوى،(ويسمي الأمر) على مسامعنا وأسماع غيرنا، وها هو قد هيأ الله لنا أسباب الاجتماع، وطرق الانتفاع، بحلول اجتماع العلويين، المقبل؛ فهيا نشد العضد ببعضنا للتمييز بين الصحيح والفاسد، فهيا بنا نتحد على ما يوافق صريح النقول،ثم نتفاهم فيما وراء ذلك بما هو معقول، فهيا بنا نمد لبعضنا يد المساعدة، فيما نراه صالحا لنفع الأمة،ومفيدا لتشييد صروح الملة. فهلم لتنظروا أحوال إخوانكم العلويين، وما هم عليه في اجتماعاتهم وتذكيراتهم، فإن كانوا على الجادة والصراط المستقيم، تشكروهم وتؤازروهم وتتخذوهم عضدا، وإن كانوا على غير ذلك فذكروهم بألطف عبارة،وأرق أسلوب،فهلم إلينا نتفاوض فيما يزيل من بيننا تلك الفوارق القاضية على جمعنا ومجموعنا، فهلم إلينا ننهي دور القول، ونشرع في دور العمل...) [١].

أهمية الاحتفال وأهدافه:-

١) من أجل المصلحة العامة،ولتبادل الأفكار، وإظهار شعائر الدين.
٢) حث الناس على اتباع الشريعة المطهرة، ونبذ كل بدعة وضلالة.
٣) بث روح المودة والأخوة بين أفراد الأمة.
٤) التمييز بين الصحيح والفاسد.
٥) موافقة صريح النقول.

-الأسس التي يقوم عليها الاحتفال:-

وضع الشيخ العلاوي مجموعة من الأسس والقواعد التي يجب أن يقوم عليها الاحتفال، منها ما يلي:-

١-الوعظ والإرشاد؛ فيخصص له من يلقيه كهيئة درس، وهو إن كان من المحفوظات والمباحث العلمية.

٢-الخطابة؛ فيلقيها ذووا الفصاحة والبلاغة،وكان يلقى ارتجالا،وكانت أوقاتها من الزوال إلى صلاة العصر، وكان يعاد بعد فريضة المغرب،وكانوا يعدون الخطباء من الأكابروالأعيان ليوم الاحتفال الرسمى،أما غيرهم (من غير الخطباء) فينبغي تأخيرهم إلى الأوقات الخالية من ذوي الحيثيات.

٣-قراءة القرآن؛ فكانوا يختارون اثنين، ويجب أن يكونوا متقنين للتلاوة على سنتها.

٤-السماع؛ فكانت أوقاته سواد الليل مع ما تيسر من الذكر الحكيم[٢].

٥-**الجمعية العلمية[٣]:-**

---

[٢])عدة بن تونس، الروضة السنية، ص٩١

[١]) المرجع السابق، ص ص ٨٨-٨٩

[٢]) عدة بن تونس، الروضة السنية، ص ص ٨٩-٩٤-٩٥

[٣]) تقوم تلك الجمعية على عدة قوانين متضمنة في سبعة مواد هي كالتالي-:

المادة الأولى: أول عمل تبتدئ به الجمعية تأسيس مجلة شهرية تحرر بالقلمين العربي والفرنسي. المادة الثانية:- تقبل الجمعية من أراد الانخراط في سلكها من أبناء الوطن، ولا يشترط فيه الأحسن سيرة، ومساعدة الجمعية على مبدئها وتوسيع نطاقها.

قام الشيخ العلاوي بإنشاء جمعية لأبناء ملته، وذلك من أجل نشر العلم والتعليم، لكي يخرجهم من الجهل إلى العلم قائلا(لا تخرج الجمعية عن خطتها في بث العلم والتعليم، وتبذل جهدها في سعادة أبناء الوطن، بإخراجهم من سجن الجهالة، والاختلاف إلى فضاء العلم، وتسعى كل السعي في تحسين العلائق والروابط الودية بالوسائل التهذيبية الموافقة للشريعة الإسلامية، مع مراعاة القوانين الدولية)[١].

ومن الجمعيات التي قام بإنشائها الشيخ العلاوي ما يلي:-

١ـجمعية الوعظ والإرشاد:-

قام الشيخ العلاوي بإنشائها في عام ١٩٣٢ قبل وفاته بعامين، قائلا عنها: إنها جمعية إسلامية، غرضها العمل على إحياء التعاليم الإسلامية من نشر الأخلاق وتلقين العقيدة السليمة بين الأفراد والطوائف في أسلوب لبق وفي دائرة الوعظ والإرشاد) تضم الجمعية علماء وفقهاء وأساتذة من ذوي الفضل من أهل الطريقة العلاوية، وترجع أهميتها إلى أنها تقوم على الوعظ والإرشاد، وخدمة الدين وشعائره، والقيام بالتربية الإسلامية، كما تقوم على الاحتضان الروحي والتربوي الشامل للأمة الإسلامية[٢].

٢ـجمعية التنوير:-

يتلخص عملها في تنوير مساجد الله وإصلاح الزوايا، والقيام بما تحتاجه من عمارة وإصلاح وترميم[٣].

يتبين مما سبق أن الشيخ العلاوي عاش حياته مثلما يعيش العلماء والصوفيون الأجلاء،عالمًا بواجبه نحو دينه ووطنه،عاملا على تجديد وإحياء الدين الإسلامي، وتجديد الخطاب الديني، واقفًا ضد كل محتل وكل مستعمر يقف في طريق الدين أويقول إن الدين هو سبب تخلف الأمة وتراجعها، واقفا ضد الأفكار الغربية التي ليس من ورائها إلا التخريب والتدمير أو العمل لصالحها، ولذا ينصح أبناء الأمة الإسلامية عامة، وأبناء الجزائر خاصة، بألا يأخذوا بكل ما هو جديد،ولكن ليس معنى هذا أنه ضد المدنية المعاصرة، بل إنه يجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين الحديث والقديم، وبهذا فهو لا يقف في طريق التقدم، بل يأخذ كل ما يوافق النص الصريح، ويجمع بين الشريعة والحقيقة، ولا يخالفها، لذلك نحن الآن في حاجة إلى ذلك أي تجديد الدين الإسلامي وإحيائه،وتصحيح صورته أمام الغرب،كل هذا أدى إلى أن الشيخ العلاوي تأثر به الكثير من الغربيين بسبب العناصر التحديثية(الإصلاحات) التي أدخلها على طريقته، كالصحافة، وأنشاء الجمعيات، وغيرها،مما أدى إلى انتشار طريقته في كثير من بلاد العالم، وأدى إلى أن تأثر به الكثير من الغربيين الأوروبيين عامة،والفرنسين خاصة،لذلك وجب علينا أن نذكر تأثيره على الغرب، ونماذج من الذين أسلموا على يديه، والتعرض للأسباب الأساسية في تأثيره على الغرب.

المادة الثالثة:– تنتخب الجمعية كلا من الرئيس ونائبه وأمين المال ونائبه وكاتب الجمعية ونائبه والأعضاء المستشارين بأغلبية الأصوات. المادة الرابعة:– يعقد اجتماع للجمعية كل سنة بتاريخ يتفق عليه. المادة الخامسة:– تحفظ أموال الجمعية في مصرف من المصارف الموثوق بثقتها. المادة السادسة:–لا يسوغ للجمعية بحال أن تخرج من طور برنامجها في أي مادة من مواده. المادة السابعة:– لا غاية للجمعية من جميع أعمالها إلا بث الراحة في الفكر والشعور،مع غاية الجد والاجتهاد فيما يناسب أبناء الوطن من التعليم والتهذيب والترقية في أنواع الصناعة، حتى يكون في الوطن ما يذكر به من ميزة من مظاهر الحياة الإسلامية. {عدة بن تونس، الروضة السنية، من ص ص١٤٩:١٥٢}

[١])المرجع السابق، نفس الصفحة

[٢])عبد القادر بن طه، الضياء اللامع ومنبع النور الساطع، ص١٣٨

[٣])عوض الله البحيصي، من أعلام الإصلاح الديني الشيخ العلامة عدة بن تونس، المطبعة العلاوية بمستغانم، ط١،١٩٩٥، ص١١٧

تأثير الشيخ العلاوي على الغرب ونماذج من الذين أسلموا على يديه:-

يرجع السبب الرئيس في تأثير الشيخ العلاوي على الغرب إلى خاصيته العيسوية، لأن كل الغربيين ذوي الثقافة المسيحية الذين اقتربوا من الشيخ العلاوي،أصيبوا بذهول لشبه وجهه بصفة خاصة،وهيئته بصفة عامة بالمسيح عيسى عليه السلام،كما يتصوره عادة العقل الغربي.

لذلك يذكر طبيبه ومحبه **مارسيل كاريه**[١] إن أكثر شيء شده إلى الشيخ العلاوي عند رؤيته لأول مرة هو الشبه بينه وبين المسيح عليه السلام،فأخذ يقول:(أثارني كثيرًا التشابه بين الشيخ والوجه الذي اعتدنا أن نتمثل فيه المسيح، وكذا ملابسه الشبيهة بملابسه،إن لم نقل أنها ملابس المسيح، والإطار الخفيف الذي يؤطر تقاسيم وجهه ومظهره.كل هذه العناصرتسهم في تقوية هذا التشابه،ولقد خيل لي أنه المسيح يستقبل تلاميذه...)[٢].

ويتفق معه **ميشال فالسان** (١٩٠٧م- ١٩٧٤م)[٣] فيقول(فقد كان لهذا الشيخ وجه تلوح منه قسمات مسيحية غامضة يتعذر تحديدها،ولطالما جذب الشيخ بلفتات وجهه كثيرا من الأوروبيين الذين ذهبوا لزيارته) وكذلك يقول(وكانت الجاذبية الآسرة التي مارسها الشيخ على الكثير من الأوروبيين الذين ما لبثوا أن انقلبوا إلى أتباع ومريدين،وكذلك الدور الذى اضطلعت به طريقة الشيخ في إدخال التصوف في ربوع فرنسا وغيرها من البلدان الأوروبية، كان كل ذلك دليلا يؤكد مدى التلاؤم والتناغم بين نمط الولاية الذي يجسده الشيخ العلوي وطبيعة الوسط الذي قدر للشيخ أن يبشر فيه برسالته كمسلم متصوف)[٤].

كتب عنه القسيس الكاثوليكي كريستيان دي لورم(راهب أبراشية مدينة ليون الفرنسية سنة ١٩٩٦) قائلا: (لقد استهوتني شخصية ذلك القديس المسلم للقرن العشرين،مؤسس الطائفة العلاوية، لدرجة أنه منذ بضع سنوات وأنا لي فوق مكتبي صورة هذا الولي لله ذي الوجه الجميل للمسيح المسن)[١].

كما كتب أوغسطين بارك عنه دراسة مطولة،استغرقت ما يقرب من خمسة وثمانون صفحة في المجلة الأفريقية ١٩٣٦م تحت عنوان(متصوف عصري) قائلا:(كان الشيخ العلاوي دائم الظمأ لمعرفة الأديان الأخرى، ويبدو أنه على علم واسع بالكتب المقدسة).ثم وصفه **بارك** بأنه نموذج للمرابط العصري المساير للتطور،كما أبدى إعجابه بروح التسامح لدى الشيخ مع اليهود والنصارى، مع أنه يؤمن بأن الإسلام هو أكمل العقائد السماوية،ومع المسلمين المخالفين له، حيث لم يخرج من دائرة الإسلام كل من أتى بأركانه الخمس[٢].

وهناك سبب آخر لتأثيره على الغرب، هو إلمامه بالديانات المختلفة، وتفتحه على الكثير من الفلسفات، ورفضه لبعض التعاليم الغربية، ومدى تتبعه لتطورات العلم الحديث، وهذ ما أوضحه

---

[١])مارسيل كاريه هو الطبيب المعالج للشيخ العلاوي وهو من الطبقة الأوربية المثقفة، وكان يسأل الشيخ ويراقبه في كلّ تصرّفاته، ويجيبه الشيخ العلوي دون أن يطلب منه أن يعتنق الإسلام. {مارسيل كاريه، ذكريات الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي، المطبعة العلاوية بمستغانم، ط٢، ١٩٨٧م }

[٢]) المرجع السابق، ص١١

[٣])هواوروبي مسلم كان دبلوماسيا رومانيا في باريس، اعتنق الإسلام على يد الشيخ عبد الواحد يحيى، وتسمى باسم الشيخ "مصطفى عبد العزيز" وكان شيخا لكثير من متصوفة فرنسا الذين أسلموا على نهج الشيخ عبد الواحد يحيى. توفي عام ١٩٧٤م. {محمد زكي مبارك، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، المركز العلمي الصوفي بالعشيرة المحمدية القاهرة (مؤسسة إحياء التراث الصوفي) ٢٠٠٦، ص ٤٩}

[٤])على شودكيفيتش، الولاية والنبوة عند الشيخ محي الدين بن عربي، ترجمه من الفرنسية وقدم له د/ أحمد الطيب، دار القبة الزرقاء، ١٩٩٩، ص٥٨

[١])خالد بن تونس، التصوف قلب الإسلام، عربه عن الفرنسية "معهد ألف باريس، دار الجيل، ط١، ٢٠٠٥، ص١٣

[٢])Augustin Berque: unmystic modernism le sheikh Benalioua. pp 692-693

إيريك جوفروا[٣]لأنه يرى أن هذا التفتح يميز المجدِّدين، ويوضح أن الشيخ العلوي كان متابعا للمسلمين الأوائل، الذين درسوا الفكر اليوناني والهندي وغيره،يقول(كان من سلالة السلف الصالح ولكن كمجدِّد، بالفعل جدَّد نظرته إلى العالم الذي يحيط به،بقدر ما كان ينتقد الماديات العمياء التي كانت تغري الغرب، وكان في المقابل يتتبع تطورات العلم الحديث بشكل مقارن بالمصلحين كمحمد عبده، ورشيد رضا،وغيرهم،ويقول(لست أرى شخصيًا أي فرق بين أكبر المشايخ الصوفية وكبار المصلحين،والشيخ العلاوي كان كذلك متفتحآ على الفلسفات الأخرى،مثل: فلسفة برجسون[٤] التي تتركز على الحدس والإلهام،هذه المفاهيم تنتمي كليًا إلى المصطلحات الصوفية، كالكشف والإلهام،ولذلك ليس بالعجيب أن يكون للشيخ اهتمام بهذه الفلسفة،وكانت له زيادة على ذلك فضولية لمعرفة كل الديانات بما أنه كان يمتلك الرؤية الكاملة التي يهبها القرآن إذا قُرِأَ وفُهِمَ جيِّدًا.إن المصطلح القرآني للدِّين القيِّم يعبِّر عنه بكل وضوح دين آدم الذي أغصانه الديانات التاريخية)[١].

يعترف المستشرق أربيري أن قداسة الشيخ العلاوي يذكرنا بالعهد الذهبي للمتصوفة في القرون الوسطى- رغم ما ذكره في كتابه المسمى"التصوف" من قبل بأنه لم يعد هناك صوفيين حقيقيين بعد الجنيد[٢] وابن عربي[٣]،ويعتقد أن التصوف بدأ بالانحطاط بعد القرن الثالث عشر الميلادي- وها هوالآن يصرح أنه يوجد ولي عارف في القرن العشرين،جدير بأكبر المشايخ في القرون الوسطى[٤].

وبعد أن تحدثنا عن أسباب تأثيرالعلاوي على الغرب،سوف نذكر الآن نماذج من الذين أسلموا على يديه، سواء بطريق مباشرة أوغيرمباشرة،أي عن طريق أتباعه أوانتشار طريقته

---

[٣])إيريك جوفروا خبير وأستاذ في دراسات الإسلام في شعبة اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة استراسبورغ. ويدرس أيضا في عدة جامعات أخرى.وله عدة مؤلفات ومقالات منشورة في مجلات متخصصة مثل مجلة إسلامولوجي، وفى «إنسيكلوبيديا أوف إسلام» وهو عضو في المجموعة الدولية للبحوث حول " العلم والدين في الإسلام» بجامعة التخصصات المتعددة في باريس.» / باتريك لود، مجلة أديان، مقالة بعنوان"التعدد في الإسلام أو الوعي بالآخرية،إريكجوفروا، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، العدد صفر، ٢٠٠٩، ص٤٣

[٤])الفلسفة البرجسونية هي مذهب فلسفي معاصر، وضعه برجسون عام ١٩٤١م، تغلب عليه النزعة الروحية، ويقوم على التطور الخلاق، ويعد رد فعل للنزعة المادية في أواخر القرن الماضي وهو إلى حد ما ضرب من الأفلوطينية الممتزجة بنظرية التطور من جانب والتصوف المسيحي من جانب آخر وتعتمد فلسفة برجسون على الحدس، والحدس بالديمومة محورها، والديمومة الأصل الأول لجميع مظاهر التطور التي تتم تدريجيا وفي اتجاهات مختلفة.{إبراهيم مدكور،المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية،الهيئة العامة لمطابع الشئون الأميرية القاهرة، ١٩٨٣م، ص٣٢ }

[١])إيري كجوفروا،الإشعاع الروحي للشيخ العلاوى على الغرب، ترجمه إلى العربية درويش العلوي، من كتاب التربية والمعرفة لمآثر الشيخ العلاوي، ٢٠٠٢، ص٣٦٩

[٢])الإمام الجنيد هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد، أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد، ومولده ونشأته بها ووفاته سنة ٢٩٧هـ واصله من نهاوند، ومذهبه يقيده بالكتاب والسنة؛ فمن أقواله (فمن لم يتفقه في الدين ويحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدي به). (عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية، دار الرشاد، ط١، ١٩٩٢، ص١٠٧)

[٣])شيخ الصوفية الأكبر، وشهرته محي الدين، باعتبار مصنفاته في التصوف والتفسير ./عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية، ص٢٨٦

[٤])إيريك جوفروا، الإشعاع الروحي للشيخ العلاوى على الغرب،ص٣٦٩

أوكتبه،فالـذين أسـلموا علـى يديـه مـنهم الفنـان والمفكـر والعـالم،ومنهم اصـحاب دعـوة التبشـير والتنصير، والآن سنوضح هذه النماذج على سبيل المثال وليس الحصر.

نماذج من الذين أسلموا على يديه:-

١-فريتيوف شيوان (عيسى نور الدين أحمد)(١٩٠٧-١٩٩٨)

فيلسوف وشاعر ألماني سويسري، مهتم بما وراء الطبيعة، له أكثر من عشرين كتابا في العقائد والأديان والفنون والروحانيات، كما كان كاتبا منتظما في مجلات أمريكية وأوروبية معنية بالأديان المقارنة.حظيت كتابات شيوان التي نشرت على نطاق واسع في العديد من المجالات العلمية والفلسفية باحترام كل من العلماء والسلطات الروحية. ويعد كتابه ''حتى نفهم الإسلام'' الذي نشر لأول مرة بالفرنسية عام١٩٦١ واحدا من أهم أعماله[٥].

أما كتابه المسمى"من الأحادية الاستعلائية للأديان"أعطى صورة جديدة للدين العالمي، وعمل على ترك بصمة قوية على بعض الأوساط المسيحية[١].

اعتنق الإسلام بباريس،ولبس-كباقي المعتنقين- في ذلك الوقت اللباس الإسلامي التقليدي لجماليته الروحية، ولأنه في نظره منبع البركة، فشرع بعدئذ في البحث عن الشيخ المربي.

في نوفمبر ١٩٣٢ التقى بفقير يمني بمرسيليا، نصحه بأن يذهب إلى مستغانم لرؤية الشيخ العلاوي الذي سمع الكلام عنه من قبل كما نصحه الشيخ عبد الواحد يحيى[٢] بزيارته. وعند وصوله إلى

---

٥) Frithjof Schuon,Spiritual Perspectives and Human FactsA New Translationwith Selected Letters,Edited byJames S. CutsingerIncludes Other Previously Unpublished Writings, World Wisdom2007,(introducation)

باتريك لود، الدين الخالد فريتيوف شيوان، ترجمة مريم إسحاق، مجلة أديان، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، ع ٠، خريف ٢٠٠٩، ص٦٧

١) Harry OldmeadowFrithjof Schuon: A Sage for the Times: World Wisdom2010,p1

٢) رينيه جينو (عبد الواحد يحيى) (١٨٨٦م–١٩٥١م) وُلِدَ رينيه جينو في ١٥ من نوفمبر عام ١٨٨٦م بمدينة بلوا جنوب غرب باريس، ونشأ في أسرة كاثوليكية محافظة، وكان رينيه ضعيف البِنية؛ وهو ما عطَّل التحاقه بالمدرسة، فتولَّت عمته "دورو" تعليمه القراءة والكتابة حتى بلغ الثانية عشرة من العمر.التحق بكلية "رولان" في باريس، وهو في السادسة عشرة من عمره، لكنه لم يكتفِ بالدراسة الجامعية وراح ينهل من العلم في باريس الزاخرة بالمعلمين والمرشدين من الشرق والغرب. في عام ١٩٠٦م، خالط المدرسة الحرة للدراسات الغيبية ليابوس، وانتقل إلى منظمات أخرى، وفي عام ١٩٠٨م انضم إلى المحفل الماسوني الكبير في فرنسا، كما انضم إلى الكنيسة الغنوصية القائمة على عكس الكنيسة السائدة التي تؤمن بتجسد الله (عز وجل) في صورة بشر وما إلى ذلك (تعالى الله عمّا يقولون علوًّا كبيرًا)، وفي نفس هذه الفترة التقى العديد من الشخصيات التي سمحت له بتعميق معرفته بمذهب الطاوية الصيني وبالإسلام. مع نهاية عام ١٩٠٩م عُيِّن رينيه جينو أسقفًا غنوصيًّا بكنيسة الإسكندرية الغنوصية، فأسس مجلة الغنوص، وأصدر مجموعة من الأبحاث في هذه المجلة، ولكن كان انتقاده لهذه الكنيسة قويًّا، على اعتبار أن المذاهب الروحية الحديثة ليست إلا مادية جديدة في مستوى آخر، وهمُّها الوحيد أن تطبق على الروح منهاج العلم الوضعي .ترك الشيخ عبد الواحد يحيى العديد من المؤلفات التي ضمَّت بين صفحاتها دفاعًا عن الإسلام وصورته لدى =الغربفي مواجهة الصورة التي كان يُروِّجها المستشرقون حول كون الإسلام انتشر بحد السيف، وأنه لا يثمر الروحانية العميقة. وقد جاءت إسهاماته في الرد على هذه الاتهامات من خلال كتبه التي من أهمها: أزمة العالم الحديث، الشرق والغرب،الثقافة الإسلامية وأثرها==في الغرب،كما أصدر مجلة سماها المعرفة.وقد ترجمت كتبه إلى كثير من اللغات الحية، وبسبب قدرة أفكاره على الاكتساح فقد حرمت الكنيسة قراءة كتبه! ولكن كتبه انتشرت في جميع أرجاء العالم، وممن تأثر بكتاباته الكاتب الفرنسي المشهور أندريه جيد، الذي كتب يقول (لقد علمتني كتب جينو الكثير، وإن آراءه لا تنقض). يقول عبد

الزاوية بمستغانم كان الشيخ العلوي مريضًا، لم يقابل شيوان إلا مرتين،فأخذ شيوان إذًا العهد. أما ترسيمه مقدمًا والإجازة التي حصل عليها لتلقين الأوراد العلاوية في جميع أقطار أوربا فقد أجازها له الشيخ عدة بن تونس.

ثم قام شيوان بنشر التعاليم العلوية بلوزان بسويسرا؛ حيث جذب إليه الكثير من المثقفين والكتاب والمترجمين والأساتذة الجامعيين... وجلس في مستغانم لمدة ثلاثة شهور ثم سافر إلى أوروبا، وفى نهاية الشهر الثالث اندلعت حرب في أوروبا فاضطر إلى الرجوع إلى مستغانم، ومكث في الزاوية العلاوية، وفى تلك الأثناء كان الشيخ العلاوي قد اشتد عليه المرض، وفى عام ١٩٣٤ توفى الشيخ العلاوي، وتولى بعده عدة بن تونس وأصبح شيوان أحد تلاميذ الشيخ العلاوي، ومقدم في الطريقة، وتولى وظيفة الإرشاد ولكن في بداية توليه كان مترددا[1].

ولكنه بعد ذلك قام بإنشاء طريقة سماها بالمريمية نسبة إلى السيدة العذراء مريم،وتتلمذ على يديه مارتن لينجز وهو من الشخصيات التي تأثرت بالشيخ العلاوي كما سنوضح.

٢-**<u>مارتن لينجز(ابى بكر سراج الدين)(١٩٠٩-٢٠٠٥م):-</u>**

يذكر لينجز أنه تربى تربية مسيحية بروتستانية، ولكنه ترك الدين المسيحي في نحو العشرين من عمره، دفعه إلى ذلك دعوى المسيحية،كما هو شائع عند معظم المسيحيين،أنها وحدها على حد تعبيره هي الدين الحق، وقضى سنوات عديدة لا يدين بدين حتى إذا بلغ الخامسة عشرة من عمره، وعاد إلى مطالعة مختلف الديانات في العالم، وتذكر كلمات المسيح "ملكوت الله في داخلكم""اطلبوا فتجدوا" وأحس بعد دراسته الديانات المختلفة أنه لم يعد باستطاعته البقاء بلا دين[٢].

وهكذا نشأ مارتن لينجز وهوخالي النفس من أية عقيدة يؤمن بها حق الإيمان.. ولكن بدأت سمات نضجه في دراسته الآداب تتضح بعد حصوله على شهادة الأدب الإنجليزي في جامعة "أكسفورد" بإنجلترا؛ فقد أخذ ينقب في كتب التراث عن الديانات المنتشرة في العالم ليقرأ عنها جميعًا، فاستوقفه دين الإسلام كشريعة لها منهاج يتفق مع المنطق والعقل،وآداب تستسيغها النفس والوجدان، فاستشعر حينئذ أنه قد وجد نفسه مع هذا الدين الذي يتفق مع فطرة الإنسان؛ حيث يعبر عن ذلك بقوله:(لقد وجدت في الإسلام ذاتي التي افتقدتها طوال حياتي،وأحسست وقتها أني إنسان لأول مرة،فهو دين يرجع بالإنسان إلى طبيعته، حيث يتفق مع فطرة الإنسان).

ثم أردف قائلا-وقد أنارت الابتسامة وجهه-:(شاء الله لي أن أكون مسلمًا،وعندما يشاء الله فلا راد لقضائه، وهذا هو سبب إسلامي أولا وقبل كل شيء)[٣].

ويذكر أنه قد أشهر إسلامه عندما التقى بالشيخ العلاوي في سويسرا التي كان يعمل بها مدرسًا، ولكنه لم يذكر هل دار حوار بينهما أم لا،ولكنه ذكر في كتابه أنه اتصل ببعض المسلمين من الجزائر والمغرب وكان منهم أحد أتباع العلاوي، ومن خلال قراءته لكتبه وانتشار طريقته قرر

الواحد يحيى: (أردت أن أعتصم بنص لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلم اجد بعد دراسة عميقة، سوى القرآن، لقد ابتعدت أوروبا عن طريق الله، فغرقت في الانحلال والدمار الخلقي والإلحاد، ولولا علماء الإسلام لظل الغربيون يتخبطون في دياجير الجهل والظلام) .هذا هو الشيخ عبد الواحد يحيى الذي أسلم كذلك على يد الشيخ عليش. /زينب عبد العزيز، مقالات من رينيه جينو (الشيخ عبد الواحد يحيى)، دار الأنصار، د.ت، ص٧ / MarkSedgwickAgains the Modern World Traditionalism and the Secret Intellectual History of the Twentieth Century (Oxford University Press, 2004p.p39-40

[١] Mark Sedgwick,Against theModern World,Traditionalism and the secet intellectual History of the Twentieth Century,oxford universitypress,2004,p.p86-87

[٢] مارتن لينجز، الشيخ أحمد العلاوي الصوفي، ص ص٥-٦

[٣] عبد الرحمن محمود، رجال ونساء أسلموا (رحلة إيمانية)، د.م، د.ط، ٢٠٠٥، ص٢٠٠

الدخول في الإسلام، وبعدها قام بتغيير اسمه من "مارتن لنجز" الى اسم "أبي بكر سراج الدين"[١].

وعندما سئل لينجز هل هناك أسباب أو دوافع أخرى وراء اعتناقه الإسلام؟ رد قائلا (نعم .. إن ما أثر علي وجعلني أهتم بالإسلام هو كتب مؤلف كبير كان مثلي اعتنق الإسلام وأصبح من قمم المتصوفة، إنه الشيخ "عبد الواحد يحيى".. لقد تأثرت بكتبه التي صنفها عن الإسلام، حتى أنني لم أقرأ كتبًا من قبل في مثل عظمة كتبِه، مما دفعني لأن أسعى لمقابلة من كان سببًا في إسلامي، فجئت إلى مصر، حيث كان يعيش فيها وقتئذ"، ثم يضيف قائلا (لقد استفدت منه كثيرًا، فقد كان بحق عالمًا عاملا بعلمه، وأكثر ما تعلمته منه الزهد في الدنيا، وهو ما تسمونه أنتم "التصوف").

وعندما وجه سؤالًا آخر إلى مارتن لينجز عن هل هو متصوف؟ أجاب بقوله: (نعم، ولكن مفهومي للتصوف أنه ليس انعزالا عن الدنيا،ولكنه أخذ بأسباب الحياة في الظاهر، والإعراض عنها بالقلب)، ثم صمت وأخذ يقول بعدها: (إن الرسول محمد(صلى الله عليه وسلم) لخص معنى التصوف كله في حديثه الشريف: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابرسبيل"[٢] هذا هو مفهوم التصوف الذي تعلمته من الشيخ عبد الواحد يحيى، وعندما سئل أي شيء قادك إلى التصوف؟ أجاب قائلا:(إلى العبودية الخالصة لله)[٣].

هذا هو المفكر البريطاني المسلم الدكتور"أبو بكر سراج الدين" الذي كان يدين بغير الإسلام، فاعتنق الإسلام عن اقتناع تام، ثم علا بإيمانه فزهد في الدنيا، وأصبح متصوفًا في مجتمعات تموج بالفتن وإغراء الملذات، وتفرغ للدعوة إلى الله، وأن الدين الإسلامي هو دين الحق المرسل لكل بقاع الأرض.

٣- هنري غوستاف (عبد الكريم جوصو) (١٨٦٦-١٩٥١م):-

رسام وكاريكاتيري فرنسي، ولد في مدينة ديجون بفرنسا، استقر بباريس بعد مراحل تعليمه، عرف تقلبات عديدة في حياته، منها إصابة ابنته وهى في الثامنة بمرض عضال عجز الطب عن علاجه فتوفيت، فلم يحتمل غوستاف مصيبته فجاء إلى تونس زائرًا كي ينسى آلامه، فاكتشف روحانية الإسلام، وبساطة حياة المسلمين، وقناعتهم، وحكمتهم في معنى الحياة والموت، فاعتنق الإسلام في عام ١٩١١، وغير اسمه من هنري غوستاف إلى عبد الكريم جوصو، واستقر بتونس مدافعا عن قضايا المظلومين وقناعته الجديدة، وقد نشر له عام ١٩١٣، ترجمة لكتابه اعتناقي للإسلام يصف تفاصيل إسلامه[١].

ملاقاته بالشيخ العلاوي:-

استقدمه الشيخ العلاوي من تونس بواسطة كاتبه محمد العيد الشريف ورفيقيه جعفر الطيار ومريم سرينو لحضور الجمع السنوي لعام ١٩٢٤،وعندما وصل جوصو إلى مستغانم وكان العلاويون يعدون للحفل، والشيخ العلاوي كان في استقبال الزوار، فعندما رآه جوصو أخذ يصف العلاوي بأنه (ذو وجه شاحب زاهد منغلق، متى رفع جفناه تكشف عن عينين باسمتين ابتسامة مشرقة، فإذا الرجل المتكلم يختلف تماما عن الرجل الصامت، ثم متى توقف عن الحديث تختفي فجأة تلك

---

[١]) مارتن لينجز، الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي الصوفي المستغانمي، ص٦

[٢])رواه البخاري في صحيحه (٦٠٥٣) في كتاب رقاق (٨٤) في باب قول النبي كن في الدنيا غريبا، ورواه الترمذي في سننه (٢٢٣٣) في كتاب زهد (٣٤) في باب ما جاء في قصر الأمل (٢٥)، ورواه ابن ماجة (٤١١٤) في كتاب زهد (٣٧) في باب مثل الدنيا(٣)

[٣])عبد الرحمن محمود، رجال ونساء أسلموا (رحلة إيمانية)، ص٢٠٠

[١])أبو القاسم محمد كرو، حصاد العمر (اعلام منسيون)، دار المغرب العربي، تونس، ج٣، ١٩٩٨، ص٣٣٢

الابتسامة، ويعود وجهه إلى انغلاقه في نفس الوقت الذي يسدل فيه جفنيه، وأنه ذو وجه جميل يشبه وجه المسيح الحنون المتأثر بالآلام[٢].

ألقى جوصو في هذا الحفل كلمة، حاول فيها أن يحدثهم عن الغرب، وما فيه من ضلالات وكفر وظلم مما أدى به إلى البحث عن دين لا يعرف فيه ظلمًا وبعد ذلك دخل الإسلام. قائلا: (قدمت عليكم من بلد الشكوك والأوهام، قدمت عليكم منبلد الكفر والإلحاد، قدمت من ظلمات بعضها فوقبعض، لنستضيء بنوركم، أعنى نور الإسلام الساطعة أنواره في القلوب والبصائر)[٣].

وبعد ذلك انتسب إلى الشيخ العلاوي وأخذ يتعلم منه مبادئ وتعاليم الطريقة؛ حيث قام الشيخ العلاوي يعلمه كيفية ترويض نفسه، وكبح جماحها، وكيفية تلقين ذكر الاسم الأعظم الله.

٤-الحسن بن محمود المكنى القبائلي:-

هو تونسي الأصل والمنشأ يقول (كنت أعيش بين إخواني بتونس، وعندما قرأت نصيبا من الابتدائيات وشيئا من القرآن،ولما قدر الله على بالإبعاد من مدينة تونس لأسباب سياسية، وأنا على سن السابعة عشر من عمري وقعت في شركة الجمعية البروتستانية الأمريكية المسماة "ميتودستيا" الأسقفية بشمال أفريقيا، فاختلسوني، واحتالوا علي من حيث لا أشعر وساعدهم على ذلك صغر سني، وانقطاعي عن الوطن، ولما أنسوا منى الميل القلبي أخذوا يستعطفونني بصفة خاصة، ويعاملونني برغبة زائدة، إلى أن صرت (أصبحت) عندهم أكبر مسيحي).

يذكر القبائلي أنهم بعد ذلك وجهوه إلى انجلترا ليُتِمَّ دروسه، ويستوفي من المسيحية، وكانت تعامله الجمعية هناك بكل حفاوة وإكرام واعتناء زائد بما يلقونه عليه من الدروس، ليتمكن منها كالنبوة، والتثليث، وألوهية المسيح، وأخذ يقول (ثم أصبحت أعتقد ما يعتقده أكبر متوغل في النصرانية، وأنا في المسيحية إلا ونزداد بغضا في الإسلام والمسلمين، ثم طلبت مني الجمعية أن أذهب إلى أمريكا لتزداد معلوماتي هناك في وظيفة التبشير، والتوسع في أنواع الحيل واستمالة المسلم إلى المسيحية، وأصبحت أدرك من نفسي البعد عن الإسلام بعد المشرقين، وصرت لا أريد ان اسمع اسم الإسلام، وخصوصا اسم محمد، فكنت أبغضه "استغفر الله" ثم وجهوني إلى بلاد الجزائر لأكون مبشرا بين المسلمين، وعرفوني كيف أستهويهم، وكيف أدخل عليهم الشبهات والوساوس، وقد عينوا لي محل إقامتي في نواحي البليدة والجزائر نقوم فيها بالتبشير، وهو تنقيص الإسلام والنبوة ومدح النصرانية، ما كنت أترك لفظا بتحقير محمد صلى الله عليه وسلم والاستخفاف بحقه، ووجدت الإسلام ليس بالدين الحق، وأما النصرانية فهي دين الله، وهي التي ينبغي أن يدين بها العالم، ثم أنشر بينهم نسخ الإنجيل بقيمة وبغير قيمة، بإدخال الشك عليهم في دينهم سواء تنصروا أو لم يتنصروا)[١].

ولكنه يذكر أنه في ذلك الوقت كان يريد من يرشده ويوجهه، يقول (كل هذا وأنا لم أجد في عمايتي تلك من يرشدني ولا من يسألني على الأقل ما هو الحامل لي على تلك العماية، وبقيت كذلك إلى أن حفتني عناية الله سبحانه وتعالى ونشلتني ألطافه بسبب ملاقاتي الأستاذ العلاوي المستغانمي -أبقى وجوده لنفع الأمة- وكان ذلك عام ١٩٢٨م وهو أول يوم من حياتي الإسلامية فلنعم اليوم ونعم من لقيت).

ملاقاته بالشيخ العلاوي:-

يوضح لنا القبائلي أنه أسلم على يد الشيخ العلاوي،وذلك عند مقابلته له في اجتماع كان يقام به العلاويين في ذكر الله فجلس القبائلي بجانب الشيخ العلاوي، ومن هنا بدأ يعرف الشيخ العلاوي

---

[٢] Abdou-L-Karim Jossot: Le Sentier d' ALLAH, 2 eme édition, imprimerie allaouia Mostaganem1990p.p41-42،

[٣] Abdou-L-Karim Jossot: Le Sentier d' ALLAHp p53-54

[١] العلاوي،من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان "اهتداء أحد المبشرين إلى الإسلام بعد ارتداده عنه" العدد ١٦، ج١، ١٩٢٨، ص ص١١٦-١١٧

بحالته،وأنه أحد المبشرين العاملين ضد الإسلام، فقام العلاوي وألبسه جبة بيضاء لبعض أتباعه وأوقفه في صف الذاكرين، ويقول القبائلي أنه في ذلك الوقت أدرك من نفسه خشوعًا،وعلم أنه استمد ذلك من الحالة التي كان عليها الاتباع.

ويقول (ولما فرغنا من الذكر سألني الأستاذ عن حالي) وطلب منه أن يقابله مرة أخرى، وفي تلك المرة يرى القبائلي أن العلاوي كان يقوم بالتذكير بما لا يخرج عن المسيح والمسيحية ووجه المقابلة بينها وبين الديانة الإسلامية بدون ما يفهم منه تنقيصا للمسيحية بكيفية يحدث للسامع منها انفعال وببراهين يذكرها تحدث في القلوب تعظيمًا وإجلالا للديانة الإسلامية، والقبائلي كان في ذلك الوقت يريد أن يسأل العلاوي عن بعض الأشياء حتى يأتي بها على طريق الاتفاق بما يرفع تلك الشبهات على حد قوله.

وبالجملة فإنه لم يمر عليه اليوم الثالث إلا وهو بين يدي العلاوي وجماعة من الأصدقاء، وهو أخذ في التذكير وأخذ يقول (فلم نشعر حتى وضعت يدي في يده، وقلت "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله" فقال لي وأشهد أن عيسى رسول الله، ليس بإله ولا ابن إله، ولما شهدتُ بذلك هلل الجميع سرورا، وحمدوا الله لي وهنأوني بحياتي الجديدة). والآن سنذكر الحوار الذي دار بين الشيخ العلاوي وبين القبائلي:

قال العلاوي للقبائلي: (الآن أصبحت موحدا، فدم على توحيدك، ورفع الأكف بالدعاء ثم سأله: كم جمعيات المبشرين الموجودة الآن في القطر الجزائري؟

فقال القبائلي: يوجد في أفريقيا الشمالية اثنان وسبعون جمعية، بين الأوروبيين والأمريكيين، جميعهم خصصوا لتنصير المسلمين، أو على الأقل تشكيكهم في دينهم، فمنهم من رأى أن أقرب وسيلة الإحسان إلى ضعفاء المسلمين، واستمالة قلوبهم، ومنهم من رأى أقرب من ذلك تربية أبناء المسلمين من الضعفاء والأيتام وتخرجهم في صبغة غير صبغتهم،وقد فعلوا،ومنهم من رأى أمكن طريق هي إدخال الشكوك على المسلمين[1].

ثم سأل القبائلي العلاوي:إن من المبشرين من يعتقد أن الناس عموما مرتهنون في معصية آدم التي ارتكبها بسبب أكله من الشجرة، والقرآن يشهد بذلك، ولابد لهم من شفيع يكون مخلصا لهم مما وقعوا فيه ولا مخلص يستطيع ذلك إلا عيسى.وإذا فمن آمن به على أنه ابن الله الوحيد، وأنه مساوي في الجوهر لأبيه، وأنه إله أيضا، وغير ذلك من العقائد يكون ناجيًا، ومن لا فلا. وهؤلاء يعتمد تبشيرهم وحرصهم على العالم لأن يكون مسيحيا، لأنه المخلص الوحيد الذي بعثه الله من أجل ذلك. وأما من سواه من الرسل فهم أنفسهم محتاجون لمخلص وهو عيسى روح الله.

فقال له العلاوي: أي آية من القرآن جاءت بذلك؟

فقال القبائلي له:قوله تعالى "وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو"[٢]، وقوله أيضا "اهبطوا منها جميعا"[٣] فالضمير في بعضكم لبعض وجميعا يعني به آدم وأبناءه وصرفه لإبليس والحية كما يقول بعض المفسرين.

فقال العلاوي : إذا كانت هاته الآية تعطينا من الاحتمال ما يفهم عائدا على آدم وأبنائه الذين كانوا في صلبه، ويستفاد منها أن أبناءه لم يزالوا مرتهنين في معصيته، والحالة أنهم لم يقترفوها إلا تبعا له كما يقولون، واستخرجوا ذلك من الآية القرآنية حسبما ذكرتم، وعلى فرض أن يكون شملهم حكم المعصية من حيث لا يشعرون، فقد تكون لحقتهم التوبة تبعًا له لأن الله تعالى قال: "فتلقى آدم

---

١) العلاوي، من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان "اهتداء أحد المبشرين إلى الإسلام بعد ارتداده عنه" العدد ١٦، ج١، ١٩٢٨، ص ص١٢٠:١١٨

٢)(سورة البقرة: الآية٣٦)

٣)(سورة البقرة: الآية٣٨)

من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم"[١] ولا يمكن أن يشاركوه في المعصية من حيث لا يشعرون وينفرد هو بالتوبة دونهم .
فقال القبائلي: فأقنعني هذا الجواب أيما إقناع واعتمدته سلاحا؟
ثم قال له العلاوي: كنتم ذكرتم عيسى باسم المخلص الوحيد فما معنى كونه مخلصا؟[٢].
فقال القبائلي: معناه على ما يعتقدون أن الناس جميعا من عهد آدم وأكله من الشجرة، وهم تحت تأثيرات الشيطان يعمل فيهم حسب إرادته وطبق شهواته، ولا يخلص من ذلك إلا من آمن بالمسيح، كونه إلهًا وابن إلهٍ إلى آخر العقيدة، وهكذا يكون مخلصا له من عذاب الله المقيم. قال العلاوي: أما خلاصه لهم من عذاب الله فإن الغيب فيه لله، لأن أمره عنا محجوب، وأما تخليصه لهم من تأثيرات الشيطان في الدنيا فإن الواقع يخالفه، لأننا رأينا أوروبا -وهي المسيحية الحقة عن آخرها- وهكذا أمريكا، ومع ذلك فإن ما يطرأ من المنكرات ويجري فيهما من أعمال الشيطان في يوم واحد قد يتجاوز ما جرى في العالم الإسلامي من البعثة إلى يومنا هذا، وإذا فأين الخلاص من الشيطان الذي حصل عليه هؤلاء حتى نتشوف نحن إليه؟ اللهم إلا إذا قالوا إن شبه الزنى، وقتل النفس التي حرم الله ليسا من أعمال الشيطان، وما أظن أن يقولوا بذلك وفي ظني أيها الأخ أن الخلاص من عذاب الله لا يكون إلا للمتقين والله أعلم.
ثم سأله قائلا: ما هي حجة النصارى في اتخاذ المسيح عليه السلام إلهًا من جهة وابن إلهٍ من جهة أخرى إذ لا يخلوا أن يكون بأيديهم معتمد يعتمدونه ولو شبهة.
فرد القبائلي: نعم أما دعوى الألوهية له فلا أسباب منها مجيئة على خلاف ما جاء عليه البشر من جهة الولادة، وثانيًا أنه صدرت منه أفعال تبعد أن تكون من أعمال البشر، وثالثا أنه يوجد في الإنجيل الكثير من الآيات الصريحة التي تثبت لهم ما زعموا من كونه إلهًا وابن إلهٍ .
فقال له العلاوي:ما هي الآيات التي رأيتموها صريحة على ألوهيته أو بنوته؟
فقال القبائلي:إنه في إنجيل يوحنا(أنا والأب واحد)، وقال أيضا: فمن رآني فقد رأى الأب، وقال أيضا: (أنا في الأب، والأب في الكلام الذي أكلمكم به) فقلت له:نعم وخصوصًا من ذلك البروتستانتيين. فقال لي: وعلى هذا تعين عليهم أن ألهوا الكثير من الأنبياء،ومنها أنى وقفت في التوراة على الإصحاح الرابع من سفر الخروج، قال الله لموسى في حق هارون (هو يكلم الشعب عنك) وذكر له العلاوي الكثير من النصوص التي تؤكد صدق كلامه.
فقال القبائلي: إن ما استجلبتموه من النصوص قد يزاحم ما بأيدي النصارى من الدلائل الإنجيلية، ويجعل الأمر مشاعًا بين جميع من يطلق عليهم اسم الألوهية. لكن بقي علينا أمر آخر وهو مجيء المسيح على خلاف ما جاء عليه البشر من جهة الولادة.
فقال العلاوي: أما مجيئه على خلاف ما جاء عليه البشر فحقيق في كونه أمرا خارقًا للعادة، ولكنه بعيد عن أن يكسبه شيئًا من أوصاف الربوبية[1].

٥-مبارك بن سليمان:-

هو مبارك بن سليمان الصوفي القماري[٢]، المقيم بمدينة قسنطينة[٣]، كان يعيش تحت كفالة والده، وكان مسلما، وكان يقوم بجمع القرآن على رأس السنة الخامسة عشر من عمره، وكان يشتغل

---

١)(سورة البقرة: الآية٣٧)

٢)العلاوي، من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان "اهتداء أحد المبشرين إلى الإسلام بعد ارتداده عنه" العدد ١٦، ج١، ١٩٢٨، ص ص١٢١-١٢٢

١) العلاوي، من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان "اهتداء أحد المبشرين إلى الإسلام بعد ارتداده عنه" العدد ١٦، ج١، ١٩٢٨، ص ص١٢٨:١٢٢

بتعليم كتاب الله لأبناء المسلمي، ويذكر أنه في تلك المدة سلط الله عليه إحدى المبشرات المسيحيات، فكثيرا ما كانت تتردد عليه وتراجعه في الآيات القرآنية بالنظر في النصوص الإنجيلية، وتمده بالكتب المسيحية المتنوعة، مما جعله يقوم بالاشتغال بالمطالعة في تلك الكتب ليلا ونهارا، وأدخلت عليها الكثير من التشكيكات والانتقادات على كتاب الله، مما أدى به إلى أن يتردد إليها في محلها لكي يسألها، ويأخذ منها من الكتب التي تحت أيديها، وكل ما يخص المسيحية والتبشير، فكانت مهمتها أن تعمل على تشكيكه في الدين الإسلامي والقرآن الكريم، وتعلمه أن المسيحية هي دين الحق.

فأخذ يقول (أصبحت أعتقد إن الإسلام ليس على شيء،وأعتقد أن القرآن من صنع البشر،ملفقا من اختلاقات محمد (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه رضى الله عنهم،وأن العصمة للأنبياء لا حقيقة لها، ومن هنا أصبحتُ فريسة بين القوم، منسلخا عن دين الآباء والأجداد، وعشت مدة وأنا لا أدين بدين، ثم عزمت منذ ذلك الوقت على النصرانية.

وبعد ذلك انضم إلى جماعة من المبشرين، وأخذ يبشر بالإنجيل بين المسلمين، من كون يسوع المسيح هو الله، وهو ابن الله أيضا، وهو الواسطة، وهو الطريق الوحيد إلى الخلاص، وبعد ذلك خصصته الكنيسةالميتوديستية[١] مبشرا رسميا بعد ما فرضت له راتبا شهريا، وجعلت له محل إقامة فأصبحت مهمته تنصير أبناء المسلمين، وإدخال الشكوك عليهم، وأدى ذلك إلى أن رجلين أصبحا يدينان بألوهية المسيح، وهذا الأمر رفع من مكانته بين أفراد الجمعية[٢].

قصة إسلامه: ـ

عندما أراد الله أن ينقذه من ورطة التثليث وما يشاكلها من الكفريات، أطلعه على جريدة البلاغ، وكان ما يهمه هو كل ما يتعلق بالدين، وعندما عثر على مقالة في جريدة البلاغ تحت عنوان "اهتداء أحد المبشرين إلى الدين الحنيف" كانت تشتمل على جملة من الأجوبة من الشيخ العلاوي تخص المسيحية والتبشير، وهى تلك الأسئلة التي وجهها إليه السيد حسن القبائلي.

---

[٢])سوفة بضم أوله وسكون ثانية ثم فاء من السافة وهى الأرض بين الرمل والجلد والسائفة هي الرملة الرقيقة. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٨٣ /أما قمار بالفتح ويروي بالكسر هي موضع بالهند ينسب إليه العود. /ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٦)

[٣])قسنطينة مدينة أزليّة كبيرة آهلة ذات حصانة ومنعة ليس يعرف أحصَنُ منها، وهي على ثلاثة أنهار عظام، تجري فيها السّفُنُ قد أحاطت بها تخرج من عيون تعرف بعيون أشقار، سَوداء. وتقع هذه الأنهار في خندق بعيد القعر مُتناهي البُعد، قد عُقِدَ في أسفله قنطرة على أربع حنايا ثم بُني عليها قنطرة ثانية ثم بُني على الثانية قنطرة ثالثة من ثلاث حنايا ثم بني فوق ذلك بيتٌ ساوى حافتي الخندق يُعبر عليه إلىالمدينة، ويظهر الماء في قعر هذا الوادي من هذا الموضع كالكوكب الصغير، وإليها ينسب عليّ بن أبي القاسم محمد أبو الحسن التميمي المغربي القسنطيني الذى توفي بدمشق ثامن عشر رمضان سنة ٥١٩). (ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الرابع، ص ٣٤٩)

[١])الكنيسة الميثودية Methodists أو المنهجية: هي حركة إصلاحية نشأت في أكسفورد بانجلترا عام١٧٢٩م على يد الأخوين جون وتشارلز ويزلي، ثم انفصلت عن الكنيسة الإنجليزية، وكانت تشدد على الديانة الداخلية (الخلاص ممكن لكل إنسان)، وتعتبر من أوائل الكنائس التي يعبر اتباعها عن إيمانهم من خلال الفناء، وتؤكد على الأخلاقية الفردية والاجتماعية والمسئولية الشخصية، وانتشرت بشكل كبير في انجلترا والولايات المتحدة، بسبب نشاط وعاظها، ثم انقسمت إلى فروع كثيرة،وعادات إلى التوحد بتأسيس الكنيسة الميتوديستية الموحدة عام ١٩٦٨م .(سعد رستم،الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم،دمشق، الأوائل للنشر والتوزيع، ط ٢،٢٠٠٥، ص ص١٧٨–١٨٢)

[٢])العلاوي،من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان "بشارة عظيمة ومحاورة جسيمة" العدد ١٢٤، ج١، ١٩٢٩، ص ص١٢٨:١٣٠

يوضح مبارك بن سليمان أن الأسئلة التي طرحها القبائلي وقام بالإجابة عنها الشيخ العلاوي تأثر بها، وجعلته يشك في أمره وما هو عليه، لأنه رأى أن أجوبة العلاوي مليئة بالأدلة الصحيحة والبراهين الساطعة، وعندما قال ذلك لأصدقائه ورفقائه في التبشير قالوا له (إن صاحب هاته الأجوبة لا يعرف من النصرانية شيئا، وأن اعتقاد المسيحيين في الإله يفوق حد العقل)[٣].

ويقول (أنهم في ذلك الوقت عندما أحسوا مني ما لحقني من ضعف العقيدة، والتواني في خدمة التبشير، كاتبوا المدير العام، فاتفقوا على أن يزوجوه من إحدى المتنصرات، التي لا تريد أن تتزوج إلا بمن يؤمن بأن اليسوع ابن الله ...) وقبل الزواج أخذ يكاتب الشيخ العلاوي لكي يحكي له أمره وما هو عليه، ومن هنا بدأ لقاؤه بالشيخ العلاوي.

مقابلته للشيخ العلاوي-:

عبر مبارك بن سليمان في مقابلته للشيخ العلاوي -بعد العديد من المكاتبات- عما لحقه من الفتور في عمله، والتردد في معتقده، بسبب مطالعته للأجوبة المنشورة في جريدة البلاغ، ودار بينهما حوار على النحو التالي:-

قال العلاوي له: ما هي الأسئلة التي تريد أن تسأل عنها؟

مبارك بن سليمان: إنكم ذكرتم عدة براهين تثبت عكس ما يعتقده النصارى في المسيح.

العلاوي: أين جاء ذلك؟

مبارك: قولكم فيه "إنه كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه"[١] فما معنى هذه الإضافة؟ وما فائدة ذلك التخصيص؟

قال العلاوي: إن ما جاء في عيسى جاء نظيره في آدم والزائد على ذلك، فقد قال فيه تعالى للملائكة "فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين"[٢] فإنه زيادة على مشاركته للمسيح في إضافة الروح من أمره تعالى للملائكة بالسجود إليه وعلى هذا التخصيص تكون الربوبية في آدم أظهر منها في المسيح، وعلى الأقل يكون الأمر مشاعا بينهما.

ثم سأل مبارك الشيخ العلاوي: إن القرآن يبالغ في مدح التوراة والإنجيل، ويثبت وجودهما بأيدي طائفتين، ويأمر باحترامهما، وبالرجوع إليهما في غير ما اية، ومع الأسف فإن المسلمين عازفون عن الالتفات إليهما، جازمون بالتحريف وغير ذلك، مما يبعث فيهما صريح الاعتراض، والذي يظهر أن هذا التحريف لا يستقيم مع احترام القرآن[٣].

قال العلاوي: ليكن في شريف علمك أن القرآن كما جاء مصداقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل جاء مهيمنًا عليهما أيضا، أي رقيبا محافظا على ما ربما ينقص منهما أو يزاد؛ فتجده يثبت ما أثبته الله في زبر الأولين وينفي ما لا وجود له في الأصل أعني ما كان من اختلافات البشر، ومنه قوله "فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون"[٤] فدل هذا على أن بني إسرائيل كانوا لا يتحاشون نظير ما يشير به القرآن هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن القرآن لم يذكر لنا على سبيل التنصيص سوى التوراة والزبور والإنجيل، وأين هذا القدر مما يوجد في العهدين القديم والجديد من الأسفار التي تتجاوز حد السبعين سفرا وهم يطلقون على القسم الأول من تلك الأسفار اسم التوراة، وعلى القسم الثاني الإنجيل في حال أن الإسلام لا يعترف من التوراة إلا بما نزل على موسى كما هي في نفس الأمر، ومن الإنجيل إلا ما نزل على عيسى، ومن الزبور إلا ما نزل على داود، وهاته الكتب الثلاثة تجدها مدموجة في العهد القديم والجديد مع غيرها، وكثيرا ما يكون التنزيل فيها ممزوجا بأقوال المؤرخين والناقلين والمترجمين، والجميع يعتبر عند الطائفتين مقدسًا لا فرق بين قول عيسى أو قول المترجم أو المؤرخ مثلا.

---

[٣]) المرجع السابق، ص ص١٣١:١٢٩

[١])(سورة النساء: الآية١٧٠)

[٢])(سورة الحجر: الآية٢٩)

[٣])العلاوي، من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان "بشارة عظيمة ومحاورة جسيمة" العدد ١٢٤، ج١، ١٩٢٩، ص ص١٣١:١٣٣

[٤])(سورة البقرة: الآية ٧٩)

فقال مبارك بن سليمان: نعم قد يوجد كثير مما ذكرت وفى علماء المسلمين من يعترف بذلك ولكن بودي لو توقفني على وجود التحريف بكيفية تبعثني على الاعتراف بذلك، وتقوم عندي برهانًا قاطعًا على ما ذكرتم، فإنه أولى لي من الدعوة المجردة[1].

فرد العلاوي: ستقف على ذلك بكل سهولة، وأنه لا يحصل الاهتداء إلا بعد حيرة، ثم قال له في الإمكان أن تطلعوا عليها في أقرب ما يكون، ولكن بكيفية تقدر نفسك كأنك أجنبي عن المسيحية، ثم رمت اعتناقها في حال أنك تحس لغة النسخ والترجمة عن الأصل الموجودة الآن بيد أهلها، وهي النسخة العبرانية واليونانية والسامرية، فلا شك أنك تختار لنفسك نسخة من الثلاثة تدين الله بها، ولكن قبل الأخذ أخذت تطبق النسخ على بعضها فوقع نظرك أولا على ما في سفر التكوين من النسخ العبرانية، وإذا هي تذكر المدة التي بين خلقة آدم وطوفان نوح، فتقول إنها ألف وستمائة وستة وخمسون سنة، ثم رفعت النسخة اليونانية فوجدتها تقول: إن بين خلقة آدم وطوفان نوح الفان ومائتان وستون سنة، فوضعتها ثم رفعت النسخة السامرية، فإذا بها تقول: إن بينهما ألفان وثلاثمائة وسبع سنين، وبعد أن يستقر في ذهنك ذلك الخلاف المتفاحش تلقى كلا من العبرانيين واليونانيين والسريانيين يقول إن نسخته هي كلام الله الذي لا مبدل لكلماته، وأنها مأخوذة عن الأصل، وأنها مكتوبة بإلهام من الله، وأنها وأنها...، وإذا فماذا كنت تعتقد في المدة التي بين آدم ونوح وما كنت ترى في تلك النسخ؟

فقلت له: كنت أعتقد أن التحريف لابد أن يكون حصل في نسختين من الثلاثة

فقال لي: وبأي طريق نستطيع أن نميز النسخة السالمة منهم؟ فقلت لا طريق صالحة إلى التمييز سوى ما استفدناه من ضعف الثقة بالجميع، فقال لي: ولا تظن أن الخلاف واقع في تاريخ آدم فحسب، بل تلقاه في غالب النوازل كما رأيته في مسالة آدم ونوح .

فقلت له: يكفي تحققه في نازلة واحدة، لأن التحريف إذا ثبت وجوده في جملة من جمل الكتاب سرى احتماله في كل جملة منه.

ثم قال: وبغير هاته الكيفية (يعنى بغير تطبيق النسخ على بعضها) لا يستطيع الإنسان أن يدرك وجود التحريف جليًا. وكيف يدركه من يعتمد على نسخة واحدة، قاطع النظر عما دونها من النسخ، خصوصا ما عليه أرباب كل كنيسة من الغلو في تبرئة نسختهم مما يلحقها من وصمة التحريف إذ لا كنيسة إلا وترى نسختها أوثق ما في العالم من النسخ، وأنها مترجمة عن الأصل حرفيا، كل ذلك تتكلف أن تثبته بكل ما تراه صالحًا من أنواع الإثبات. ثم قال لي: وإن شئت بسطنا الحديث في هذا الموضوع بما يزيدك يقينا؟

فقلت له: يكفيني ما ذكرتموه دليلا. وما انتهى بنا الحديث حتى أقبل علينا حضرة الأخ المفضال السيد الحسن القبائلي، جاء يتفقد الأستاذ؛ حيث سمع به أنه عازم على الرجوع إلى مستغانم، وقد كنت أكثر ما أكون شوقا إلى الاجتماع بهذا الأخ، وبعد المصافحة وتبادل عبارات السرور على حصول الملاقاة، سألته عن حاله وكيف يجد نفسه بالنسبة لما كان عليه من قبل، فقال: "الحمد لله"، تجدني نظيف البدن، خفيف الأعضاء، فارغ المخ مما كان يشغله من كثرة الحشو، فقلت له: أمَّا أنا فلم يزل مخي مثقلا، فقال لي: إن داومت على مجالستك للأستاذ لا تمر عليك أيام حتى تجد في نفسك من الراحة أكثر مما تظن[1].

فقلت له: من سوء الحظ أن الأستاذ عازم على السفر من الغد، فقال لي: وما يمنعك أن تصاحبه إلى مدينة مستغانم؟ فقلت: لا شيء يمنعني، وبودي لو يكون ذلك، فقال الأستاذ: تلك نيتنا ولا يكون إلا كذلك إن شاء الله.

---

[1]) المرجع السابق، ص ص:١٣٣:١٣٤

[1]) العلاوي، من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان "بشارة عظيمة ومحاورة جسيمة" العدد ١٢٤، ج١، ١٩٢٩، ص ص١٣٣:١٣٥

ثم دار الحديث بيننا في غير الموضوع، وعندما حان الغروب أذن لنا بالانصراف بعد الاتفاق على أن يكون السفر صباحًا، فودعني ذلك الأخ وانصرف، وهو لا يشك في حصول الانتفاع بهذا الاجتماع، وبعد ذهابه انصرفت إلى منزل المبيت، فنمت تلك الليلة وأنا في حالة ينازعها الانقباض من جهة والانبساط من الأخرى. ولما أصبح الصباح ذهب الأستاذ في سيارة له وأوصانا باللحاق به على طريق القطار صحبة كاتبه المفضال السيد محمد الجريدي، ولما حان السفر ذهبت إلى المحطة أنا والأخ المذكور، وبعدما أخذنا مقاعدنا وسار القطار في طريقه سألني ذلك الأخ بقوله كيف أصبحت؟ فقلت له: أجدني الآن لا أنا مسلم ولا أنا مسيحي، فقال لي: تلك مرحلة قطعتها في سبيل الهداية وأنت لا تشعر، ولما وصلنا إلى مدينة عليزان نزلنا بها، ثم ذهبنا إلى الزاوية العلوية بقصد الاستراحة، وبتنا بها عند الأتباع هناك، فسروا بنا أيما سرور، وبعد العشاء جلسنا للحديث، وكنت معجبًا بكلامهم، وبما أسمعه منهم، ولِمَا وجدت فيهم من الاستعداد.

يقول مبارك بن سليمان: وبعد أن استقر بنا النوى أخذ يتكلم عن مسألة التثليث بلهجة حادة، على خلاف ما كنت أعرفه منه إلى أن قال: فإني لست أدري من أين استفاد النصارى هاته العقيدة الغربية، التي لم يكن لوجودها أثر في زبر الأولين، ولا تلفظ بها أحد النبيين والمرسلين.

فقال بن سليمان: إنه يوجد ما يشير إليها في سفر التكوين من العهد القديم، وهو قول الله لآدم بعد أكله من الشجرة، وبعد أن فتح عينيه للتمييز بين الخير والشر: (الآن قد صرت كواحد منا) والشاهد في قوله منا.

فالتفت الأستاذ للجماعة متبسمًا وقال: إن فضيلة السيد مبارك لا تطيب نفسه إلا بإله واحد حتى يجعل جمًّا غفيرًا من الآلهة، يا سبحان الله ما أحرصهم على إثبات التعدد، أو ليس قد قال في سفر التثنية من التوراة "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد"[١]، وجاء فيه أيضا: "إن الرب هو الإله ليس آخر سواه"[٢]، ونظير هذا ليس مما يقل وجوده في أسفار الأولين، ولكن القوم لا يقنعهم من النصوص إلا ما يجعل لله أندادا.

فقال مبارك بن سليمان: إن النصارى لا يقولون بالند ولا بالشريك، لأنهم جعلوا الثلاثة واحدًا متحدين في الجوهر، فهم موحدون على هذا الاعتبار بزعمهم.

فقال العلاوي: إن كان عقلك أنت يتسع لأن تجعل الثلاثة واحدًا والواحد ثلاثة فأقل العقلاء لا للجمع بين النقضين.

فقال مبارك بن سليمان: إن المسيحيين يقولون في عقيدة التثليث إنها جاءت من وراء طور العقل، فكثيرا ما تستعصي عن الإدراك. فقال العلاوي: إذا كانوا يعترفون بأن العقل لا يستطيع إدراكها فليذهبوا إذن يبشرون بها ما كالحمقى والمجانين الذين يتأتى أن يروح عليهم كل شيء، أما العاقل فلابد وأن يكون تحت سلطان العقل أحب أم كره، وما لا يقبله العقل لا يتأتى من الإنسان أن يتخذ عقيدة يدين به[٣].

ثم التفت للجماعة قائلا: أتدرون أيها السادة ما هذا التثليث الذي تقول النصارى بوجوب اعتقاده؟ فقالوا: لا، فقال لهم: هو يعتقد المكلف كون الإله الحق المسمى عندهم بالأب جالسا على كرسي له في السماء، ويعتقد في المسيح أنه ابنه، وأنه إله أيضا تام مستكمل لأوصاف الإلوهية، وإنسان تام، وقد صلب بالأرض على عهد بطليموس ومات وقبر،ثم قام من الأموات بعد ثلاثة أيام، وجلس على يمين أبيه في السموات، ويعتقدون أن روح القدس إله تام، مستجمع لأوصاف الإلوهية،ولكنهم لم ينصوا على مقر هذا الإله الأخير. وهؤلاء الثلاثة المستكمل كل واحد منهم في طبيعته هم واحد.

---

[١]) العهد القديم، سفر التثنية، آية ٣٦

[٢])العهد القديم، سفر التثنية، آية ٣٦

[٣])العلاوي، من أضاميم المد الساري لجريدة البلاغ الجزائري، مقالة بعنوان "بشارة عظيمة ومحاورة جسيمة" العدد ١٢٤، ج١، ١٩٢٩، ص ص١٣٥:١٣٦

ثم سال العلاوي بن سليمان:أليس هكذا يعتقدون؟
فقال بن سليمان نعم .
ثم قال العلاوي:لو كانوا يعتقدون أن الذي في السماء هو بعض إله،وفي عيسى أنه البعض من الإله أيضا، وفى روح القدس كذلك،وإذا اجتمع الثلاثة كانوا إلها. لكان قولهم هذا أقرب للرواج عند البسطاء، من كون كل واحد من الثلاثة تام الألوهية في نفسه،مستقلا بأوصافه، وثلاثة واحد. فما أبعد القوم عن خالص التوحيد.
ثم التفت إلى مبارك بن سليمان بصفة خاصة وقال: بمثل ذلك الاعتقاد كنت تدين لله يا سيدي مبارك وتروم التقرب إليه؟
قال بن سليمان: وإذ ذاك أخذتني رجفة، وفاضت عبرتي وتشبثت بيده قائلا "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله" فبكي الحاضرون لبكائي ورفعت الأكف بالدعاء[1]. وبعد ذلك عاد إلى مكانه، وكان سببًا في أن أسلمت خطيبته ووالدتها.

التبشير إذن يمثل خطرا داهما على الإسلام والمسلمين، لأنه ما هو إلا دعوة إلى النصرانية، جاء من أجل زعزعة عقيدة المسلمين، وتشكيكهم في دينهم، باستخدامهم دعوى أن النصرانية دين المحبة والسلام، لذلك واجه العلاوي هذا التبشير والمبشرين به، وجاء بالأدلة والبراهين الساطعة والحجج المنطقية التي تؤكد دوره الديني والثقافي من أجل الدفاع عن صحيح الدين الإسلامي، وتصحيح صورته أمام الغرب، وبث الوعي الديني الصحيح في طبقات الأمة، وأنه على كل مسلم أن يتمسك بدينه وعقيدته. ولذلك فنحن في حاجة إلى مزيد من أولئك الأعلام والرواد، مثل الشيخ العلاوي، وفي حاجة إلى دراسة أولئك الأعلام -الذين أسلموا- دراسة علمية، تؤكد عالمية ذلك الدين وصلاحيته لكل زمان ومكان.

---

[1]) المرجع السابق، ص ص١٣٧

خاتمة-:

يمكن أن نستنتج من هذا البحث ما يلي-:

- إن الرسالة الإسلامية هي رسالة عالمية، صالحة للبشر في كل زمان ومكان.
- إن المعيار الديني هو الأساس في التقدم والنهوض لأي أمة، وإن القرآن الكريم هو سلاح هذا النهوض، باعتباره الدستور السماوي الذي لا نقص فيه ولا خلل، وهو عين الحقيقة الإلهية والعروة الوثقى للعالم الإنساني، لذلك طالب العلاوي بضرورة الالتزام بالقرآن الكريم من غير تقييد، وأنه لابد من التبصر في مقاصده ومعرفة أوامره ونواهيه.
- التجديد ضرورة من ضرورات هذا الدين، ولا يعني أبدا تبديل أحكام الدين والإتيان بدين جديد.
- إن الإصلاح الديني يحتاج إلى جهود عظيمة، لن تتحقق إلا من خلال مثقفي الأمة من الخطباء والشيوخ والعلماء، باعتبارهم القادة الروحيين لأي أمة؛ فدورهم الأساسي يتمثل في نشر العلم، حتى يعم الخير والمنفعة لكل المسلمين، وأنه لا تقدم لأي أمة إلا بعلمائها ورواد‌ها.
- إن الشيخ العلاوي يعد بالفعل واحدا من قائمة مجددي القرن الرابع عشر الهجري. وأنه أحد دعاة التجديد في النظر إلى الدين، وأبرز رواد الفكر الذين قاموا بإحياء الدين الإسلامي.
- إن الشيخ العلاوي من الملتزمين بمبادئ الدين الشريف، والمتمسكين بالكتاب والسنة.
- إن الهدف الأساسي والأسمى لما قام به العلاوي هو تصحيح صورة الإسلام أمام الغرب، لذلك قام بمواجهة كل مظاهر الانحلال الأخلاقي والفساد، وكل ما فيه شبهة، وكل ما يهدد الدين الإسلامي بدليل تصديه لكل من التجنيس والتبشير.
- إن رفض العلاوي للتعاليم الغربية ليس معناه رفضه للمدنية المعاصرة، لكنه يريد من كل مسلم أن يأخذ منها ما يوافق الشرع والدين، وما يتلاءم مع ظروف العصر، فالعلاوي بهذه الصورة يعد جامعًا بين الأصالة والمعاصرة.
- وأخيرًا -وليس آخرا- العلاوي بالفعل هو باعث النهضة الروحية في الغرب، والدليل على ذلك أن هناك الكثير من الغربيين الذين أسلموا على يديه -كما ذكرنا- فنحن في حاجة إلى دور الرواد والإصلاحيين من أجل إحياء الدين الإسلامي والوعي بالمجتمع الإسلامي وتجدده.

قائمة المصادر والمراجع:-

- القرآن الكريم
- كتب الصحاح

اولا المصادر:-

١) احمد بن مصطفى العلاوى ،الديوان،المطبعة العلاوية بمستغانم،الطبعة الرابعة، ١٩٩٣
٢) ___ ، المنح القدوسية فى شرح المرشد المعين بطريقة الصوفية ،المطبعة العلاوية بمستغانم،الطبعة الثانية،د.ت
٣) ___ ،المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية،المطبعة العلاوية بمستغانم،الطبعة الاولى،الجزء الثانى،١٩٩٤
٤) ___ ،البحر المسجور فى تفسير القرآن بمحض النور،المطبعة العلاوية بمستغانم ،الطبعة الاولى،الجزء الاول،١٩٩٥

ثانيا المراجع العربية:-

٥) ابن النخيل عبد لكريم عبد الرحيم،مفاهيم قرانية وقواعد الاستنباط فى تفسير البحر المسجور للشيخ احمد بن مصطفى العلاوى المستغانمى،المملكة العربية السعودية،٢٠٠٨
٦) ابو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية الجزائرية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، الطبعة الاولى، ١٩٢٢
٧) ابو القاسم محمد كرو،حصاد العمر(اعلام منسيون) ،دار المغرب العربى،تونس،الجزء الثالث،١٩٩٨
٨) احمد امين ،زعماء الاصلاح فى العصر الحديث،دار الكتاب العربى بيروت،لبنان،د.ط،د.ت
٩) احمد توفيق المدنى،كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤
١٠) احمد حمانى ،صراع بيين السنة والبدعة ،دار البعث،قسنطينة، الجزء الاول،١٩٨٤
١١) اميمة جمال،رجل الاصلاح ومربى الارواح،منشورات جمعية الشيخ العلاوى للتربية والثقافة ،٢٠٠٣
١٢) التربية والمعرفة في مآثر الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي، جمعية الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصوفية ،مستغانم،الجزائر،٢٠٠٢
١٣) حسن بن على السقاف،السلفية الوهابية افكارها الأساسية وجذورها التاريخية،دار الامام الرواس بيروت،د.ط،د.ت
١٤) زينب عبد العزيز،مقالات من رينيه جينو(الشيخ عبد الواحد يحيى) ،دار الانصار،د.ت
١٥) سعد رستم،الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الاسلام حتى اليوم،دمشق،الاوائل للنشر والتوزيع،الطبعة الثانية،٢٠٠٥
١٦) صلاح مؤيد العقبى،الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها،دار البراق،٢٠٠٢
١٧) عبد الرحمن طالب،الشيخ العلامة الحاج بالقاسم بن كابو التجانى،الجزائر ،٢٠٠٥
١٨) عبد الرحمن محمود،رجال ونساء اسلموا، د.ط، ،٢٠٠٥
١٩) عبد القادر بن طه، الضياء اللامع في تعريف منبع النور الساطع سيدي الشيخ العلوي المستغانمي الذى هو لعلمى الشريعة و الحقيقة جامع (١٨٦٩-١٩٣٤)،دار هومه، ٢٠٠١
٢٠) عبد الله العقيل ،من اعلام الدعوة والحركة الاسلامية،تقديم مصطفى مشهور واخرين ،دار البشير ، الطبعة الثامنة،الجزء الاول،٢٠٠٨
٢١) عبدالله بن محمد الشارف ابن سيدى على حشلاف ،سلسلة الاصول الخمسة فى شجرة ابناء الرسول ،المطبعة التونسية،نهج سوق البلاط،العدد٥٧ ،بتونس،١٩٢٩
٢٢) عدة بن تونس،الروضة السنية فى المآثر العلوية،المطبعة العلاوية بمستغانم،،الطبعة الثانية،١٩٩٠

٢٣) عوض الله البحيصى،من اعلام الاصلاح الدينى الشيخ العلامة عدة بن تونس،المطبعة العلاوية بمستغانم،الطبعة الاولى ،١٩٩٥
٢٤) محمد بن عبد البارى الحسنى التونس،الشهائد والفتاوى فيما صح لدى العلماء من امر الشيخ العلاوى ،المطبعة التونسية،نهج سوق البلاط،العدد٥٧،تونس،١٩٢٤
٢٥) محمد عبد الرؤوف المناوى،فيض القدير شرح الجامع الصغير،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،الطبعة الاولى،الجزء الاول،١٩٩٤
٢٦) مهدى محمد عبدالله ابراهيم،الامام احمد بن مصطفى العلاوى،دار الكتب المصرية،الطبعة الاولى،٢٠١٠
٢٧) المودودى،موجز تاريخ تجديد الدين واحيائه،موسسة الرسالة بيروت، الطبعة الرابعة ،١٩٨١

ثالثا المراجع المترجمة الى العربية:-

٢٨) خالد بن تونس ،التصوف قلب الاسلام ،عربه عن الفرنسية "معهد الف باريس ،دار الجيل ،الطبعة الاولى، ٢٠٠٥
٢٩) على شودكيفيتش،الولاية والنبوة عند الشيخ محى الدين بن عربى،ترجمه من الفرنسية وقدم له د/احمدالطيب،دار القبة الزرقاء،١٩٩٩
٣٠) مارتن لينجز، احمد بن مصطفى العلوى الصوفى المستغانمى الجزائرى،نقله الى العربية د/محمد اسماعيل الموافى،دار الكتاب الجديد بيروت ،لبنان،الطبعة الاولى،١٩٧٣
٣١) مارسيل كاريه،ذكريات الشيخ احمد بن مصطفى العلاوى،المطبعة العلاوية بمستغانم،الطبعة الثانية،١٩٨٧

رابعا الموسوعات والمعاجم:-

٣٢) ابراهيم مدكور،المعجم الفلسفى،مجمع اللغة العربية،الهيئة العامة لمطابع الشئون الاميرية القاهرة،١٩٨٣
٣٣) الزركلى،الاعلام،دار العلم للملايين،الطبعة الخامسة،د.ت
٣٤) عبد المنعم الحفنى ،الموسوعة الصوفية اعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية،،دار الرشاد،الطبعة الاولى ،١٩٩٢
٣٥) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة،الندوة العالمية للشباب الإسلامية الرياض، الطبعة الثانية،١٩٨٩
٣٦) ياقوت الحموى ،معجم البلدان،دار صادر بيروت، ١٩٧٧

خامسا المجلات والدوريات:-

٣٧) أضاميم المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري ، من تراث الطريقة العلوية الصوفية / قدم له وحققه عبد السلام بن أحمد الكنوني ؛ راجعه وأشرف عليه عدلان خالد بن تونس،المغرب طنجة ،الجزء الاول،١٩٨٦
٣٨) باتريك لود ،مجلة اديان ، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان ،العدد صفر،خريف ٢٠٠٩
٣٩) الشيخ امين الخولى،التجديد فى الدين ،مجلة الرسالة ،العدد١٣
٤٠) عدة بن تونس،تنبيه القراء الى كفاح مجلة المرشد الغراء،المطبعة العلاوية بمستغانم،الطبعة الاولى،الجزء الثانى،١٩٩٠
٤١) محمد زكى مبارك،مجلة البحوث والدراسات الاسلامية،المركز العلمى الصوفى بالعشيرة المحمدية القاهرة(مؤسسة احياء التراث الصوفى)٢٠٠٦

سادسا الرسائل العلمية:-

٤٢) غزالة بوغانم،الطريقة العلاوية فى الجزائرومكانتها الدينية والاجتماعية (١٩٠٩-١٩٣٤) ،رسالة لنيل درجة الماجيستير ،اشراف د|عبد الكريم بوصفصاف،٢٠٠٧-٢٠٠٨

سابعا المراجع الاجنبية:-

43) Abdou-L-Karim Jossot: Le Sentier d' ALLAH, imprimerie, allaouia Mostaganem eme édition1990

44) Augustin Berque: unmystic modernism le sheikh Benalioua, Revue africaine n79-vol2 -1939

45) Frithjof Schuon:Spiritual Perspectives and Human FactsA New Translation with Selected Letters,Edited byJames S. CutsingerIncludes Other Previously Unpublished Writings, World Wisdom2007.

46) Harry Oldmeadow Frithjof Schuon: A Sage for the Time, World Wisdom, 2010

47) MarkSedgwickAgains: the Modern World Traditionalism and the Secret Intellectual History of the Twentieth Century (Oxford University Press,2004

48) Traductions diverses:Graines de Lumière heritages de Cheikh al-Alâwî al bouraq paris,2010